

سيكولوجية البطالة

رؤية علاجية

بركات، محمد غالب

سيكولوجية البلطجة: رؤية علاجية / تأليف: محمد غالب بركات - القاهرة: نيو بوك للنشر والتوزيع / ط ١ / القاهرة: ٢٠١٧ م.

٢١٤ ص؛ ١٤ × ٢١ سم

تدمك: ٣-٦٣-٦٥١٩-٩٧٧-٩٧٨

رقم الإيداع: ٢٠١٧/٨٢٩٦

٢- السلوك - علم نفس اجتماعي

١- الفوضى الاجتماعية

٥- الاضطرابات السياسية

٤- السلوك الاجتماعي

٣- الفوضوية

٢٠٢٣

أ- العنوان

دار النشر: نيو بوك للنشر والتوزيع

عنوان الكتاب: سيكولوجية البلطجة: رؤية علاجية

المؤلف: د. محمد غالب بركات

رقم الطبعة: الأولى

تاريخ الطبع: ٢٠١٧

جميع حقوق الملكية الأدبية والفنية محفوظة للناشر



ويحذر طبع، أو تصوير، أو ترجمة، أو إعادة تنضيد للكتاب كاملاً أو جزئياً، أو تسجيله على أشرطة كاسيت، أو إدخاله على الكمبيوتر، أو برمجته على أسطوانات ضوئية، إلا بموافقة الناشر الخطية الموثقة

نيو بوك للنشر والتوزيع

٦ عمارات الدفاع الوطني - حدائق القبة - القاهرة

ت: ٠١٠٩٢٦٧٣٢٧٤

newbooknb@gmail.com

سيكولوجية البلطجة

رؤية علاجية

د. محمد غالب بركات



2017

فهرس الكتاب

الصفحة	الموضوع
5	فهرس الكتاب
9	المقدمة
13	الفصل الأول
18	مفاهيم البلطجة
25	بعض المفاهيم المتداخلة مع البلطجة
27	الفصل الثاني
29	نبذة تاريخية عن البلطجة
30	البلطجة في العصر البدائي
31	البلطجة في العصر الروماني
32	البلطجة في البلاد العربية
33	البلطجة في أوروبا
34	البلطجة في مصر
36	معدلات إنتشار سلوكات البلطجة
41	أنواع البلطجة
41	□ البلطجة الجسدية

- 41 البلطجة اللفظية
- 41 البلطجة الإنفعالية
- 42 البلطجة الجنسية
- 42 البلطجة العنصرية
- 43 البلطجة السيرية

الفصل الثالث

- 47
- 49 البلطجة في المدارس
- 53 البلطجة في العمل
- 58 البلطجة في الشريعة الإسلامية
- 60 البلطجة في القانون

الفصل الرابع

- 65
- 67 أسباب البلطجة
- 67 عوامل بيئية
- 69 عوامل بيولوجية
- 70 عوامل نفسية
- 71 جماعة الأقران
- 72 عوامل أسرية
- 74 إساءة معاملة الطفل ودورة العنف
- 77 شخصية الضحية وسماته

- 78 تعاطي المخدرات □
- 80 المستوى الاجتماعي الاقتصادي □
- 81 وسائل الإعلام □
- 83 التراخي الأمني □
- 86 محكات سلوكات البلطجة

91 الفصل الخامس

- 93 النماذج المفسرة لسلوكات البلطجة
- 94 النظرية اللومبروزية □
- 96 نظرية التحليل النفسي □
- 105 النظرية السلوكية الراديكالية □
- 107 النظرية السلوكية الجديدة □
- 108 التيار الإنساني □
- 111 تعليق على النماذج المفسرة

115 الفصل السادس

- 117 ضحايا البلطجة وسوء التوافق النفسي
- 120 أبعاد التوافق
- 120 توافق شخصي □
- 120 توافق اجتماعي □
- 121 توافق أكاديمي □

122 □ توافق أسري
123 أسباب سوء التوافق
130 أثر سلوكيات البلطجة على البلطجي والضحية
135	الفصل السابع
137 رؤية علاجية لسلوكيات البلطجة
138 أهداف البرنامج
141 الأسس التي يقوم عليها البرنامج
144 محتوى البرنامج
146 أسس تعديل السلوك
151 السيكودراما
159 □ عناصر السيكودراما
164 نموذج من جلسات البرنامج
189 ثبت المصطلحات
203 المؤلف في سطور

مقدمة

هناك كلمات تهفو لسماعها الأنف، وتعشقها المشاعر السوية. ومن أفضل هذه الكلمات، كلمة الأمن والأمان، والسلم والسلام، والاطمئنان، وهي كلمات تتقارب في معناها، وتتلاقى في مقاصدها وغاياتها. ولتحقيق الأمن والاستقرار تدعمت السلطة داخل الجماعة الإنسانية التي سميت بالدولة، حتى سُميت هذه الدولة في بداية ظهورها بالدولة الحارسة، أي التي تقوم بحماية الأمن في الداخل، وصد الغارات عن الحدود في الخارج.

ولقد أشار «هوبز» Hobbes (1679 - 1558) إلى أن حياة الفوضى يسيطر عليها الخوف الدائم، ولهذا كان لابد للناس من الخروج من حالة الاضطراب والفوضى إلى التمسك بالنظام الذي يضمن لهم الأمن والاستقرار. ولكي يقرب لنا «هوبز» أهمية الخروج من الفوضى إلى النظام يسوق هذا المثال رواية عن سكستوس امبريكوس Sextus Empiricus: «لقد جرت العادة عندما يموت الملك في فارس في العصور القديمة أن يترك الناس خمسة أيام بغير ملك، وبغير قانون، بحيث تعم الفوضى والاضطراب جميع أنحاء البلاد، وكان الهدف من وراء ذلك هو أنه بنهاية هذه الأيام الخمسة، وبعد أن يصل السلب والنهب والاعتصاب إلى أقصى مدى، فإن من يبقى منهم على قيد الحياة سوف يكون لديهم ولاء حقيقي للملك الجديد، إذ تكون التجربة قد علمتهم مدى رعب

الحالة التي يكون عليها المجتمع بغياب السلطة» (إمام عبد الفتاح، 1985، 329).

ثم ظهر في المجتمعات الحديثة ظاهرة استفحل خطرها ألا وهي البلطجة Bullying، ولقد تنوعت الظاهرة وأخذت أشكالاً وصوراً مختلفة مثل: البلطجة الجسدية Physical bullying، والبلطجة اللفظية Verbal bullying، والبلطجة الجنسية Sexual bullying، والبلطجة عبر الإنترنت Cyber bullying. وتجدر الإشارة إلى أن سلوكيات البلطجة ليست ظاهرة مستقلة عما يعترى المجتمع من تغيرات جذرية على المستوى الاقتصادي والاجتماعي والسياسي، فهي بلا شك نتاج لتغيرات تراكمت على مدار سنوات.

وسلوك البلطجة يمكن أن يأخذ شكلين مختلفين: بلطجة مباشرة Direct Bullying وبلطجة غير مباشرة Indirect Bullying أما الأولى فتأخذ شكل علني Overt يتمثل في اتصال جسدي لهجوم البلطجي Bully على الضحية Victim بينما الثانية تأخذ شكل العزلة الاجتماعية والتهميش، وقد تحدث بشكل منفصل أو مجتمعة. لا شك أن أهم مشكلة تواجه المؤلف حين يتعرض لبحث سلوك البلطجة هي تلك المتصلة بتكوين الشخصية، صحيح أن الشخصية لا تكون إلا في موقف هو الذي في ضوءه نستطيع أن نفهم استجابتها، ولكن من الحق أيضاً أن قدرة الموقف على إثارة الاستجابة إنما تتوقف قبل كل شيء على نوع الشخصية التي تمر بهذا الموقف، بل إننا نجد في كثير من الأحيان أن الموقف ما ظهر على الإطلاق إلا لأن الفرد أوجده إيجاباً وأوجد نفسه فيه.

ونظراً لانتشار سلوكيات البلطجة بنسب مرتفعة استرعى اهتمام المؤلف لدراسة الظاهرة، وقد تم عرض الكتاب في سبعة فصول تناولت الموضوع

من بداية المفهوم وتاريخه ومعدلات انتشاره، ومروراً بمحكات التشخيص والنظريات المفسرة، وانتهاءً بوضع نموذج لبرنامج علاجي قائم على الدمج بين فنيات تعديل السلوك وأسلوب السيكودراما.

وفي الختام نسأل الله تبارك وتعالى السداد والتوفيق، وأن تتحقق الفائدة المرجوة من هذا الكتاب.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

د. محمد غالب بركات

الفصل الأول

إن أهم عنصر يرتكز عليه استقرار المجتمع هو عنصر الأمان، فإن اختل الأمان اختل المجتمع، واضطربت أمور الناس فيه. وأمن المجتمع ونظامه وسلامته هو الطريق الوحيد الذي يكفل لجميع الأفراد أوفر قدر من السعادة والطمأنينة في الحياة، وهو في الوقت ذاته يحفظ للفرد كرامته وحرية وإنسانيته. والأمن من أهم النعم التي أنعم الله بها على الإنسان، وهي شعور الإنسان بالأمان على نفسه وأسرته، ومصالحه وأمواله، والاطمئنان بعدم وجود خطر عليها، وهذه النعمة تحتضن النعم الأخرى، وتحتويها، فمن دون نعمة الأمان لا يكون لنعمة المال والصحة والوقت سكن ولا قرار، فإذا انعدم الأمان فلا يتنعم الإنسان بماله ولا بصحته ولا بوقته.

إن الشعور بفقدان الأمان خاصية وجودية مميزة للإنسان منذ وجوده وحتى يومنا هذا، ومن ثم حاول دائماً أن يضع لنفسه شيئاً يمنحه الشعور بالأمن، ويزيل عنه عبء الشعور الذي لا يطاق بالخوف. ويختلف الشعور بفقدان الأمان بمعناه الفسيح عن فقدان الأمان بدرجاته النفسية ومستوياته على النحو الذي يستشعره الإنسان في حياته النفسية مصحوباً بعوارض نفسية، يتمثل بعضها في فقدان الثقة، والشك، والخوف، واستحالة الثقة في الآخرين، واللامبالاة، والعدوان، والكرهية، والتشبث بحب القوة لا قوة الحب (إبراهيم عيد، 1997، 232).

ولأهمية نعمة الأمان وعظم شأنها جعلها إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَام من أولى

دعوته كما جاء في قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ ءَامِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ ﴾ [إبراهيم: 35]، فقدم في الذكر مطلب الأمن على مطلب التوحيد؛ لأن التوحيد لا ينتشر عند الناس إلا بالأمن. قدم عَلَيْهِ السَّلَامُ في دعائه نعمة الأمن على غيرها؛ لأنها أعظم أنواع النعم، وإذا فقدها الإنسان اضطرب فكره، وصعب عليه أن يتفرغ لأمر الدين أو الدنيا بنفس هادئة وقلب خال من المنغصات.

لقد افترض «فروم» أن الصراع بين النضال من أجل الحرية والنضال من أجل الأمن هو أشد قوة دافعة في حياة الناس، وأن أقوى الدوافع التي توجه سلوك الإنسان تنبثق من ظروف وجوده أو من موقفه الإنساني من الوجود.

ومن الملاحظ في الآونة الأخيرة انتشار سلوكات البلطجة Bullying في المجتمع وبين طلبة المدارس بعد أن كانت مقتصرة على فئة معينة، حتى أن الأسلحة والأدوات المستخدمة من قبل البلطجية تسللت إلى داخل المدرسة.

هذه السلوكات لها نتائج سلبية على الجوانب النفسية والتربوية والاجتماعية بشكل عام. فالشعوب الآمنة تملك الظروف المناسبة للإنتاج المادي والمعرفي، ورائدة لغيرها من الأمم التي تفتقر إلى هذه النعمة. وعندما استخف البعض بالقوانين وجدنا من يسكرون في الطرقات سكارى، غير عابئين بمن حولهم، ضار بين بكل المثل والمبادئ عرض الحائط. وفي تحدٍ للنظام وجدنا بعض الصبية تقوم بتشكيل عصابات تخرج متآمرة تقهر الأفراد، وتسلبهم أموالهم وأرواحهم، وتروع الآمنين في المساكن والطرقات.

والبلطجة مشكلة عالمية، إذ توجد في كثير من المدارس على مستوى العالم، حيث تشير التقديرات إلى أن (3.6) مليون شاب في الولايات المتحدة

شاركوا بالفعل في سلوكيات بلطجة، بينما (3.2) مليون شخص كانوا ضحايا (Nansel et al., 2001) وفي جميع أنحاء العالم تنتشر سلوكيات البلطجة بنحو (30 %) من مجموع الطلاب (Gini & Pozzoli, 2009) وفي عام 1982م تم الإبلاغ عن انتحار ثلاثة أطفال من مدارس مختلفة في النرويج نتيجة تعرضهم للبلطجة المستمرة من قبل آخرين (9: Smith & Sharp, 1994).

والبلطجة في المدارس أهم ملامح الأزمة التي تسود النظام المدرسي المعاصر؛ لأنها تهدد أمن الطلاب، واستمرار العملية التعليمية، حيث تتوافر النية من يتصفون بالبلطجة نحو ضحاياهم مستخدمين في إيذائهم وسائل عديدة، مثل الاعتداء الجسدي، واللفظي، والعزل، و... وبناء على ذلك تكون البلطجة بصورها هي مجموعة فرعية من السلوك العدواني.

ومن المقرر نفسياً واجتماعياً وبالاستقراء والتتبع فإن الجرائم التي تخفى إذا ظهرت وجب تشديد العقاب لها، فإن الجزاء معناه أن العقوبة مكافئة للجريمة، مساوية لها متلاقية مع آثارها، وإن لم تكن متلاقية في ذاتها ومساوية في الكم مع كل سبب من أسباب العقوبة. لذلك لا ينظر إلى مقدار الفعل المرتكب، ولا إلى مقدار الأذى الشخصي الواقع على آحاد الناس فحسب، وإنما ينظر أيضاً في تقديرها إلى الآثار المترتبة عليها، سواء القريبة منها أو البعيدة.

مفاهيم البلطجة

تعتبر البلطجة واحدة من المشكلات التي قد يمر بها الفرد في فترات نموه. فالأولاد يقومون بالاعتداء على زملائهم في فناء المدرسة، فإذا كان رد فعل التلميذ الضحية هو الخوف وعدم إبلاغ المسؤولين بالمدرسة، أو إبلاغ أسرته بما يحدث له من قبل زملاء الدراسة فإن هذه السلبية تؤدي بدورها إلى تدعيم هذا السلوك عند التلميذ البلطجي، ويمارسه أكثر وأكثر، وهكذا إلى أن وصل الأمر إلى وجود حوادث إطلاق نار في مدرسة كولومبيا Columbine العليا في مدينة ليتلتون كولورادو Littleton Colorado (Mestel & Groves, 2001).

ولقد ظهر مفهوم البلطجة مع بداية البحوث التي ظهرت في أوروبا حيث تم الإشارة إليها تحت إسم المهاجمة Mobbing وهي السلوك العنيف المتصاعد بسرعة، الموجه نحو طالب واحد من قبل مجموعة من الطلاب، وقد تطور المفهوم ليشمل نوبات متكررة من العدوان من قبل مجموعات صغيرة من البلطجية على طالب واحد (Olweus, 1993) وعلى الرغم من أن التركيز الأصلي للبحوث التي تمت عن البلطجة كان عن العدوان اللفظي والجسدي إلا أن عام 1990 شهد توسعاً في تعريف البلطجة ليشمل العدوان غير المباشر، على اعتبار أن العدوان المباشر يحدث وجهًا لوجه، بينما العدوان غير المباشر يحدث عادة عن طريق طرف ثالث (James & Susan, 2008).

وفي الآونة الأخيرة نال مصطلح البلطجة كمية كبيرة من الاهتمام من قبل الباحثين وصانعي السياسات والجمهور العام في أمريكا الشمالية، وهناك كان مزيداً من التركيز على مفهوم البلطجة ليشمل رفض الأقران.

وعموماً فقد أشارت معظم البحوث والدراسات إلى صعوبة وضع تعريف جامع مانع لمصطلح البلطجة، وإن اتفقت على اختلاف أشكالها وصورها مثل: البلطجة اللفظية، والبلطجة الجسدية، والبلطجة النفسية، والتي تتمثل في المضايقات والتلاعب بالعلاقات الاجتماعية.

وكلمتي (بلطجة وبلطجي): لا تعرفهما قواميس اللغة العربية، وذلك لأنها من اشتقاقات اللغة العامية. كما أن كلمة بلطجي ينصرف معناها إلى الشخص الذي يستخدم (البلطة) في الاعتداء على الآخرين. وقد جاء في دائرة معارف القرن العشرين كلمة «بالطه» أي ضاربه بالسيف (محمد فريد وجدي، 1971: ج 2، 338).

يؤيد هذا ويؤكد أن اللغة العامية غنية بالألفاظ التي تنتهي بحرفي (الجيم والياء). فهذان الحرفان حينما تنتهي بهما كلمة ما فإنها تعبر -عادة- إما عن صاحب مهنة معينة وإما عن ممارسة شخص ما لسلوك معين بإسراف. والمعنى الأول نجده في كلمات: مكوجي وسفرجي وبوسطجي واستورجي وقهوجي وعربجي. أما المعنى الثاني فنجده في كلمة: خمورجي.

وعليه فإن كلمة بلطجة تعني السلوك الذي يصدر عن شخص، أي أنه اتخذ من استخدام البلطة، ويطلق عليه لفظ (بلطجي) من قبيل إطلاق اسم الجزء الأهم على الكل؛ لأن البلطة تمثل سلاحاً خطيراً يستغرق ما عداه من أسلحة -في الغالب الأعم-. أضف إلى ذلك أن شيوع استخدام البلطة بمعرفة الأشخاص الذين يعتدون على الآخرين ويفرضون إتاواتهم عليهم، يؤكد صحة إطلاق لفظ بلطجي على أي من هؤلاء، لأن العبرة في صحة الألفاظ بالأمر الشائع لا الأمر النادر.

إن كلمة بلطجة تركية الأصل، وهي كلمة تتكون من مقطعين: (بلطة)، و(جي)، وهي تعني حامل البلطة، وهو الرجل الذي يؤدي الخدمات الخارجية للقصر السلطاني، وكانت الدولة العثمانية تستخدم البلطجية لفتح الدروب بين أشجار الغابات باستعمال البلط كي تسلكها الجيوش. وفي العامية المصرية يوجد مصطلح آخر وهو «قبضاي» وهو مرادف للبلطجي، وينتشر أيضًا في لبنان وسوريا.

وتعرف البلطجة في بلدان أخرى بأسماء مختلفة، فعلى سبيل المثال يطلق على البلطجية في سوريا إسم «الشيحة»، كما تعرف في اليمن باسم البلاطجة، وفي الجزائر يطلق عليهم إسم «فوايو» *Voyous*، وفي المغرب يعرفون باسم «شومارة» وهي كلمة مشتقة من الكلمة الفرنسية *Chaumage* وتعني المتعطل عن العمل وخريج الإصلاحيات والسجون.

وقد قيل في البلطجي «متنمر» تشبيهاً بأخلاق النمر وشراسته. ويقال للرجل سيء الخلق: قد تنمر. ونمر وجهه أي غيره وعبسه. ويقول الأصمعي: تنمر له أي تنكر وتغير؛ لأن النمر لا تلقاه إلا متنكراً غضبان، وهو من أنكر السباع وأخبثها. وكانت ملوك العرب إذا جلست لقتل إنسان لبست جلود النمر ثم أمرت بقتل من تريد قتله (ابن منظور، مادة: نمر).

وجاء تعريف البلطجة في قاموس «كمبريدج» Cambridge على أنها «إيذاء أو تخويف شخص ما أصغر أو أضعف من الشخص البلطجي، أو إجباره على أن يفعل شيء لا يريد فعله». ولم يختلف التعريف كثيراً في قاموس «لونجمان» Longman حيث عرف البلطجة على أنها «تهديد شخص ما أو تخويفه، خاصة الأشخاص الأصغر حجماً أو أضعف. أو هي الضغط

على شخص ما لجعله يفعل ما يريد». بينما في قاموس أكسفورد Oxford دُمج مع مصطلح البلطجة مصطلح آخر هو ممارسة التخويف Intimidation وعمومًا هي «ترهيب شخص أضعف ليفعل ما تريد».

ولقد وضعت الجمعية الأمريكية لعلم النفس تعريفًا للبلطجة في قاموس علم النفس الإكلينيكي على النحو التالي: «هي استمرار التهديد والاعتداء الجسدي العنيف، أو الإساءة اللفظية المباشرة تجاه الآخرين، وخاصة إذا كان الضحية أصغر سنًا، أو أصغر حجمًا، أو أضعف من البلطجي» (APA, 2013).

ويعرف أوليوس Olweus (1993, 4) البلطجة بأنها: «التعرض مرارًا وتكرارًا وعلى مر الزمن لأعمال سلبية من جانب واحد أو أكثر من الأشخاص الآخرين، وأن الضحية يواجه صعوبة في الدفاع عن نفسه». ويتضمن تعريف سلوك البلطجة عند «أوليوس» ثلاثة عناصر أساسية هي:

1. أن يكون سلوك سلبي وعدواني.

2. أن يحدث السلوك مرارًا وتكرارًا.

3. عدم وجود تكافؤ في القوى بين البلطجي والضحية.

كما يعرفها ريجبي Rigby (2011) بأنها انتهاك للقوانين، واعتداء على الآخرين جسديًا وبشكل علني كالضرب والركل، أو المناداة بصفة تثير الغيظ. في حين يعرفها بليجريني Pellegrini (2002) بأنها أي شكل من أشكال الترهيب، أو التحرش، أو الإبعاد والعزل. ويرى روساريو وآخرون (Rosario, M.; Salzinger, S.; Feldman, R. & Ng Mak, D., 2003) أن البلطجة هي سلسلة متصلة من السلوك الذي ينطوي على محاولة للوصول إلى

التسلط والهيمنة على الآخرين. وترى يانسن وزملائها (Janssen, I.; Craig, W.; Boyce, W. & Pickett, W. 2004) أنها أي عمل أو إجراء ضمني، مثل التهديد الذي يهدف إلى الخوف، بحيث يتكرر هذا السلوك في أكثر من مناسبة. ويعرفها كلا من Devoe, J. F.; Peter, K.; Kaufman, P.; Miller, A. K.; Noonan, M.; Snyder, T. D. & Baum, K (2004) بأنها أعمال سلبية مباشرة وغير مباشرة من البلطجي للضحية، حيث تتمثل الأعمال المباشرة في الهجوم الجسدي بشكل علني، والصورة غير المباشرة منها تأخذ شكل العزلة الاجتماعية والتهميش المتعمد للآخرين، وكل أشكال التسلط.

كما يعرفها سموكوزكي وكوباز (Smokowski & Kopasz 2005) على أنها هجوم مادي أو نفسي أو لفظي على أفراد يعجزون عن المقاومة، مع توافر نية التسبب في حدوث الأمر لتحقيق مكاسب خاصة بهم وإشباع رغباتهم. ويرى نجوك Ngoc (2007) أن البلطجة هي قمع نفسي أو جسدي لشخص أقل قوة من قبل شخص أكثر قوة أو مجموعة من الأشخاص. ويوضح جيمس وسوزان James & Susan (2008) أن البلطجة هي أي إيذاء مقصود ومتعمد، سواء كان لفظياً أو مادياً أو مكتوباً، ويشمل التهديد والتخويف والإساءة للآخرين.

وترى ماري وزملائها (Marie, H. et al, 2009) البلطجة أي رغبة واعية ومتعمدة لإيذاء أو تهديد أو تخويف أي شخص آخر. كما يعرفها ميشيل وآخرون (Michael, H. et al, 2009) بأنها أي إجراءات سلبية متكررة من جانب واحد أو أكثر ضد شخص أو مجموعة من الأشخاص أو ضد دولة أو... مع وجود خلل في توازن القوى الجسدية والنفسية بين البلطجي والضحية. ويرى أحمد محمد أبو زيد (2012، 26) أن البلطجة هي استخدام

العنف والإكراه بصورة غير مشروعة من جانب أطراف غير رسمية، من أجل فرض إرادتهم على الآخرين.

والمؤلف له تحفظ على التعريف الأخير إذ أنه لا يوجد إكراه بصورة مشروعة ولا غير مشروعة، علاوة على أن سلوك البلطجة يصدر من أطراف غير رسمية، فكيف إذا صدر من أطراف رسمية؟.

وقد لاحظ المؤلف من خلال عرض معظم تعريفات البلطجة أن بعض الباحثين يعتقدون أن السلوك الذي يحدث مرة واحدة أو مرتين مهما كانت خطورته لا يعتبر بلطجة، وحثهم في ذلك أن الضرر الواقع على الضحية يكون بصفة مؤقتة وغير مؤثر، في حين يعتقد المؤلف أن هذا السلوك لا ينبغي أن يحدث مرارًا وتكرارًا وعلى مر الزمن على نفس الضحية لكي يصنف على أنه بلطجة، فقد يتكرر سلوك البلطجة من الشخص ولكن على أفراد آخرين. كما يتفق المؤلف مع معظم الباحثين على أن البلطجة تنطوي على خلل في توازن القوى البدنية والنفسية، سواء الحقيقية أو المتصورة بين البلطجي والضحية.

كما لاحظ المؤلف عدم الدقة في ترجمة المصطلح Bullying والخلط بينه وبين مصطلحات أخرى، حيث لم يفرق يسري دعبس (1998، 3) بين مصطلح البلطجة ومصطلح الإرهاب الاجتماعي Social Terrorism، ولقد وضع فرج طه (2009، 242-243) المصطلح (Paltaga) الإنجليزي من عنده ليحتفظ بروح المفهوم، فيقول: «ولقد وضعت المصطلح الإنجليزي من عندي ليحتفظ بروح المفهوم لأني لم أعثر على لفظ انجليزي يحقق لنا ذلك، وهذا يقابل التعريب الذي نلجأ إليه في العربية عندما تصعب علينا ترجمة

كلمة إلى العربية». والمؤلف يرى عكس ذلك تمامًا إذ أن كلمة البلطجة في العربية يقابلها في الإنجليزية أكثر من ترجمة، الأولى: Bullying والثانية: Looting والثالثة: Thuggery وكلها تعني: بلطجة، ومن المصطلح الأول يشتق منه bully بمعنى بلطجي، والمصطلح الثاني يشتق منه looter بمعنى بلطجي أيضًا، وكذلك المصطلح الثالث يشتق منه Thug.

ومن التعريفات السابقة يرى المؤلف أنه إذا كان العدوان هو بداية العنف، وأن العنف يتميز عنه بالاندفاع والتهور، فإن البلطجة تأتي كمرادف للعنف، وتعرف على أنها: «أفعال ضارة مقصودة وغير مبررة إلى حد كبير، من فرد أو أكثر، لإلحاق الأذى المادي والنفسي لفرد أو أكثر. يمكن أن تكون كلمات أو أي سلوكات أخرى مثل: التحرش الجنسي، والتنازب بالألقاب، والتهديد والتخويف، والعزل، والضرب واستخدام الآلات الحادة، ولا يوجد نوع من التوازن في القوة بين البلطجي والضحية Bully and Victim».

بعض المفاهيم المتداخلة مع البلطجة

توجد بعض المفاهيم التي تتداخل ظاهرياً مع مفهوم البلطجة، ولكنها تختلف في جوهرها، ومن هذه المفاهيم ما يلي:

البلطجة والعنف

يعتبر العنف أعم وأشمل من البلطجة، على أن البلطجة وسيلة من وسائل العنف التي يستخدمها الفرد.

البلطجة والعدوان

العنف هو الجانب المادي المباشر المتعمد من العدوان، وبذلك يصبح العدوان مفهوماً أكثر عمومية من العنف، والبلطجة وسيلة من وسائل العنف، ويمكن تمثيل هذه العلاقة بثلاث دوائر مختلفة الأقطار، بحيث تمثل الدائرة الخارجية العدوان، ثم الدائرة الأصغر منها وهي دائرة العنف، ثم تأتي الدائرة الأصغر والأخيرة وهي دائرة البلطجة.

البلطجة والصراع

الصراع عملية اجتماعية.. وموقف يحاول فيه اثنان أو أكثر من الكائنات البشرية، أو الجماعات الاجتماعية أن يحقق كل أغراضه وأهدافه ومصالحه، ويمنع الآخر من تحقيق ذلك، ولو اقتضى الأمر القضاء عليه وتخطيطه، ويبدو الصراع بين الأفراد والجماعات عند ارتكاب الجرائم، وهو صراع ينتصر

فيه الشعور بالعداوة، وقد يتسم بالعنف الشديد (سيد عويس، 2002، 1184). وعلى ذلك فالبلطجة غير الصراع، فقد يوجد الصراع بين فردين وينتصر أحدهما على الآخر ويحقق أهدافه ومصالحه دون أن يلجأ للعنف أو البلطجة.

البلطجة والغضب

الغضب انفعال سيء، غير مريح، يصاحب الرغبة في الاعتداء والتدمير وإنزال الضرر بالآخرين أو بالذات أحياناً. كما أن للغضب مظاهر خارجية تظهر على ملامح الوجه وتغير لونه، واهتزاز بعض أطراف الجسم وضعف السيطرة عليها، ويصاحبه أيضاً تغيرات فسيولوجية تستهدف تهيئة الجسم بالقوة والطاقة اللازمة للاعتداء وإشباع دافع الغضب (فرج طه وآخرون، 2009، 912). وبناءً على ذلك فالغضب نواة العنف، والعنف مرادف للبلطجة، فإن الغضب أشمل وأعم من البلطجة والعنف معاً.

الفصل الثاني

نبذة تاريخية عن البطجعة

إن علاقة الإنسان بالجريمة والعنف بصفة عامة قديمة قدم الإنسان نفسه، فكانت أول جريمة قتل ارتكبتها أحد أبناء آدم في حق أخيه، فقد روي في التوراة (العهد القديم) أن: «8 وَكَلَّمَ قَايِينَ هَائِيلَ أَخَاهُ. وَحَدَّثَ إِذْ كَانَا فِي الْحَقْلِ أَنَّ قَايِينَ قَامَ عَلَى هَائِيلَ أَخِيهِ وَقَتَلَهُ» (سفر التكوين 4: 8).

ووردت قصة ابني آدم في القرآن الكريم أيضاً: ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴿٢٧﴾ لَئِن بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَنَّكَ إِنَّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴿٢٨﴾ إِنَّي أُرِيدُ أَنْ تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمَكَ فَتَكُونَ مِنَ الصَّاحِبِ النَّارِ وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ ﴿٢٩﴾ فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الخَاسِرِينَ ﴿٣٠﴾﴾ [المائدة: 27 - 30]. فكان أول بطجعي في التاريخ هو «قاييل».

البلطجة في العصر البدائي

لم يكن استعمال القوة مقصوراً على الأعمال التي يطلق عليها في عصرنا الحالي «البلطجة»، فكل اعتداء على حق يُعد جريمة شأنه شأن الاعتداء على النفس أو المال، ويدفع المعتدى عليه وعشيرته إلى الانتقام (مصطفى صقر، 1989، 75). فالإنسان البدائي لم يكن يحتكم إلى دين أو تشريع أو نظام متبع، بل كان يحتكم إلى فطرته التي تقرر أن كل فعل لابد له من رد فعل، فهو يدافع عن نفسه أو ماله بدافع الغريزة والفطرة، وهو الذي يقرر ما إذا كان الفعل الذي وقع عليه يستوجب العقاب من عدمه، كما كان الفرد هو الذي يوقع العقاب بنفسه أو بواسطة أهله أو أصدقائه.

الباطجة في العصر الروماني

اتخذت الباطجة صوراً متعددة مثل: الحريق العمد، والقتل، والضرب والجرح، والاعتداء على الديانة وأماكن العبادة، (باطجة بدنية) وكل ذلك من الجرائم العامة، أما الباطجة في صورها الخاصة فتمثلت في الاعتداء على الأشخاص بالذم والقذح والقذف (باطجة لفظية) وانتهاك الأعراض (باطجة جنسية)، وكان يترك للمجني عليه نفسه تقدير التعويض عن هذه الأفعال (صاحب الفتلاوي، 1998، 195).

البلطجة في البلاد العربية

شأنها شأن العصر البدائي، فقد كانت هناك عدة دول مثل: دولة حمورابي ودولة المناذرة في الحيرة، والغساسنة في الشام، وعرب الحجاز. أما عرب الحجاز فكان أغلبهم يعيش على شكل قبائل يسير على مكاسبهم ما يعد جرائم عند غيرهم كالنهب والغزو والسبي، ولم يكن هناك عقاباً على جريمة ما عدا القتل، فكان العقاب عليه ينفذ قصاصاً أو بالدية (منصور رحمانى، 2006، 17).

الباطجة في أوروبا قبل الثورة الفرنسية

انتشر الكثير من الجرائم، والتي تعد في جملتها «بلطجة»، سواء كانت هذه الباطجة فردية أو جماعية، مثل: القتل، والسلب، والإحراق عمدًا، واغتصاب الفتيات، وإفساد الطعام، وتخريب الممتلكات ليلاً (وول ديورانت، د.ت، 76). وفي أواخر القرن الثامن عشر كان العالم الغربي على موعد مع ثورتين عظيمتين غيرتا الكثير من المبادئ والقوانين، فكانت الأولى في أمريكا والثانية في فرنسا، ونادتا بمبادئ الحرية والعدالة والإخاء والمساواة، واحترام شخصية الإنسان وأدميته. ولم تنطلق هذه الثورات من فراغ بل نتيجة أفكار ومبادئ مافتى بعض رجال الكنيسة والفلاسفة والمصلحون ينادون بها، ولا سيما مونتسكيو⁽¹⁾، وفولتير⁽²⁾، وميرابو⁽³⁾، وروسو⁽⁴⁾ وغيرهم، هؤلاء المفكرون تأثروا بما كان سائدًا في أوروبا من انتشار للجريمة، وعقوبات قاسية صارمة لا تراعى فيها آدمية الإنسان.

- (1) شارل لوي دي سيكوندا المعروف باسم مونتيسكيو Montesquieu فيلسوف فرنسي صاحب نظرية فصل السلطات. ولد في جنوب غرب فرنسا بالقرب من مدينة بوردو عام 1689 وتوفي عام 1755م. ألف رسائل فارسية، والملكية العالمية، وروح القوانين.
- (2) فرانسوا ماري آروويه المعروف بفولتير. كاتب وفيلسوف فرنسي عاش في عصر التنوير. مولود عام 1694، توفي عام 1778م. عُرف بنقده الساخر، ودفاعه عن الحريات المدنية خاصة حرية العقيدة، والمساواة وكرامة الإنسان.
- (3) أونوريه جابريل ريكويتي المعروف بالكونت دي ميرابو. ثوري فرنسي، وكاتب، وصحفي، ودبلوماسي، وسياسي، وماسوني وخطيب الثورة الفرنسية. ولد عام 1749، وتوفي عام 1791م.
- (4) جان جاك روسو كاتب وأديب وفيلسوف وعالم نبات جنيفي، يعد من أهم كتاب عصر التنوير، ولد عام 1712، وتوفي عام 1778 أهم أعماله العقد الاجتماعي.

البلطجة في مصر

البلطجة في مصر هي التطور غير الطبيعي للفتوة. والفتوات هم البوليس الشعبي الذي كان يحمي القاهرة بعلم البوليس الرسمي، وكان لكل حارة فتوتها الخاص بها، والذي يزود عن حقوقها، ويجمع من مال أغنيائها ليعطي فقراءها، وكل فتوة يصل إلى منصبه بعد معركة طاحنة تسيل فيها الدماء مع الفتوة السابق له باستخدام سلاح الفتوات الشهير «النبايت». وقد تحدث الجبرتي عنهم عند حديثه عن كفر الطماعين وكفر الزعار، وقال إن بعض أمراء المماليك كانوا يستعينون بهم لحمايتهم ومساندتهم، وقد أطلق على هؤلاء الفتوات «المشادين»، وعندهم السجن مروءة وشرف ويتفاخرون به، وربما كان هذا سبباً في ظهور التعبير المصري الشهير «السجن للجدعان».

وقد شهدت مصر ظهور نوع جديد من الفتوات وهم البلطجية، وإذا كان الفتوة يحمي حقوق أهل الحارة بالقوة فإن البلطجي الجديد يسلبها منهم بالقوة، وتحولت صورة البلطجي من صاحب البلطة حارس حريم السلطان إلى الشاب العاثر حارس العاهرات في الملاهي الليلية، فالفتوة كان سلطة حقيقية، كتب عنه وعن عالمه «نجيب محفوظ» في كثير من رواياته وأفلامه، سلطة طيبة أو سلطة شريرة.

وأول من أوجد مهنة البلطجة في الدولة العثمانية هو «مراد الثاني» الذي حكم في الفترة (1421 - 1451) وكون فرقاً بهذا الاسم لفتح الدروب والمسالك بين الغابات والأدغال، وقد تم استخدام بعضهم حرساً أمام القصور. ولقد انتقلت هذه الكلمة والوظيفة مع غيرها من المهن والوظائف الأخرى إلى

مصر مع الحكم العثماني، ومع بداية القرن السابع عشر الميلادي أصبح البلطجية الموجودين في مصر لخدمة الوالي العثماني، ومع تراخي قبضة الدولة باتوا يعيشون في الأرض فسادًا ويعتدون على حقوق الناس.

وفي العصر الحديث شهدت الدول العربية قبل ربيع الثورات وبعده أنماطًا مختلفة من البلطجة، ففي بعض الدول مثل مصر كان يتم توظيف البلطجية من قبل النظام الحاكم لترويع وتخويف المعارضة السياسية، ومحاربة أعداء النظام، وتنظيم المظاهرات لتأييد النظام الحاكم وأفراده، وكان يتم استخدامهم لإنجاحهم في الانتخابات. وفي مقابل هذه الخدمات كانت الأجهزة الأمنية تغض الطرف عن أنشطتهم غير المشروعة والمخالفة للقانون، مثل السرقة بالإكراه، وتهريب المخدرات، وغيرها من الأنشطة الإجرامية (أحمد محمد أبو زيد، 2012، 27).

معدلات انتشار سلوكات البلطجة

أوضحت بعض الدراسات التي أجريت على الطلاب الألمان أن (12.1%) من عينة الدراسة التي بلغت (2086) قد مارسوا سلوكات البلطجة على الآخرين، وأن (11.1%) كانوا ضحايا لبلطجة الآخرين، كما بينت الدراسة أن (2.3%) يصنفون ضمن البلطجية الضحايا، أي الذين أصبحوا بلطجية نتيجة لتعرضهم لبلطجة الآخرين قبل ذلك (Scheithauer, H. et al, 2009). وقد كشفت نتائج الدراسة التي أجراها «أولويس» Olweus على عينة شملت (140000) طالباً نرويجياً تراوحت أعمارهم بين (8 - 16) عاماً أن (7%) من عينة الدراسة يمارسون سلوكات البلطجة على الآخرين، بينما أقر (9%) أنهم يتعرضون للبلطجة من قبل الآخرين (Olweus, 1999).

كما بينت دراسة المركز القومي للإحصاءات التربوية بالولايات المتحدة الأمريكية National center for education statistics (NCES) أن قرابة (64%) من الطلاب يعانون من بلطجة الآخرين ولم يبلغوا أحد سواء على مستوى الأسرة أو المدرسة، وأن 35% فقط من الطلاب الذين يتعرضون لحوادث البلطجة هم الذين قاموا بإبلاغ المسؤولين في المدرسة (Dinkes, R.; Kemp, J. & Baum, K. 2009). كما بينت دراسة ناسيل وآخرون (Nasel, T. et al, 2001) ودراسة زيرمان وآخرون (Zimmerman, et al (2005) أن سلوكات البلطجة تنتشر بين الأطفال في سن المدرسة بنسبة (30%) في الولايات المتحدة، بين الصفوف من السادس إلى العاشر، وهي موزعة كالتالي: (13%) بلطجية، (6%) بلطجية وضحايا، (11%) ضحايا. وفي استطلاع لوزارة الصحة في ولاية أوكلاهاما Oklahoma جاء فيه أن 67%

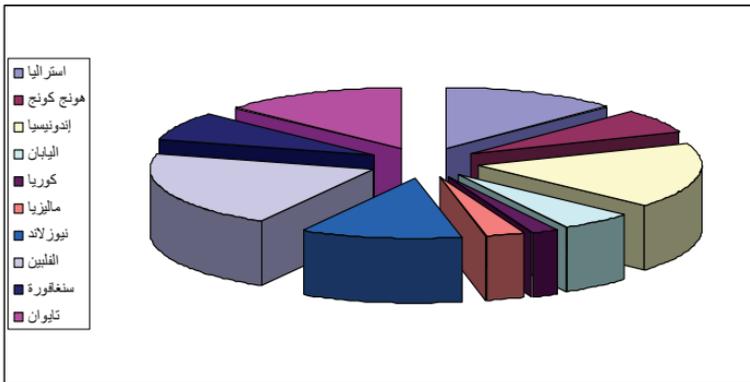
من طلاب الصف الثالث، و 47% من طلاب الصف الخامس، و 20% من طلاب الصف السابع جميعهم قد تعرضوا للبلطجة من زملائهم الأكبر سنًا في المدرسة (Middleton, 2008).

كما بينت الدراسة المسحية التي أجريت في مدارس «نيوبريپورت» Newburyport و «ماساتشوستس» Massachusetts أن نسبة الطلاب الذين تعرضوا للبلطجة المتكررة والمستمرة من قبل الآخرين تراوحت نسبتهم من 9 إلى 24% وهم من الصفوف الخامس والسادس (Hendricks, 2008). وفي ولاية «فيرمونت» Vermont انتشرت البلطجة بين فتيات المدارس الثانوية بنسبة تراوحت من 17 إلى 30% حيث قامت هؤلاء الفتيات بالبلطجة على الآخريات من خلال الهواتف المحمولة، وأجهزة الكمبيوتر وشبكة الإنترنت، وهو ما يُعرف بالبلطجة الحاسوبية، حيث يتم اختراق أجهزة الآخرين والاطلاع على خصوصياتهم عن طريق برامج «هاكرز» والتي قد تؤدي إلى نوع من الابتزاز المادي أو الجنسي (Larkin, 2007).

وكان لسلوكات البلطجة الأثر الكبير على العملية التعليمية في الولايات المتحدة، فهناك أكثر من (160000) طالب يفضلون البقاء في منازلهم عن الذهاب لمدارسهم خوفاً من البلطجية (Vial, 1999). كما كان للمراهقين النصيب الأكبر من سلوك البلطجة حيث بلغت النسبة بينهما من 80:90% خلال سنوات الدراسة الثانوية. لقد أوضحت الدراسات أن 15% من إجمالي الطلاب في المرحلة الثانوية يقومون بتعدي القواعد على أساس منتظم عن طريق رفض قواعد الفصل المدرسي، ومقاومة الضوابط، وهؤلاء الطلاب يستطيعون عمل فوضى في نظام التعليم يؤثر على أداء جميع الطلاب الآخرين.

وأن 5% يكونون دائماً في تعدد للقواعد وكسر للقوانين، وهؤلاء الطلاب يكونون أكثر ميلاً لارتكاب أفعال العنف داخل المدرسة وخارجها.

ولقد كانت دراسة لينج لاي وآخرون (2008) Ling Lai et al لمعرفة معدلات انتشار خمس صور من البلطجة (السرقه - الضرب - الإرغام - السخرية - الاستبعاد) في المدارس المتوسطة في عشرة بلدان هي: استراليا - هونج كونج - إندونيسيا - اليابان - كوريا - نيوزلاند - الفلبين - سنغافورة - تايوان. وقد تكونت عينة الدراسة من (52383) طالباً من الصف الثامن إلى العاشر، موزعة كالاتي: (4614) استرالي، (4935) من هونج كونج، (5542) إندونيسي، (4835) ياباني، (5297) كوري، (5287) ماليزي، (3652) نيوزلاندي، (6840) فلبيني، (6008) سنغافوري، (5373) تايواني. وقد بينت نتائج الدراسة معدلات الانتشار التالية: استراليا (19.8%)، هونج كونج (10%)، إندونيسيا (26.8%)، اليابان (8.5%)، كوريا (2.7%)، ماليزيا (4.4%)، نيوزلاند (18%)، الفلبين (32.5%)، سنغافورة (11.6%)، تايوان (20.5%). والشكل التالي يوضح رسماً بيانياً للنسب السابقة:



شكل (1) رسم توضيحي لانتشار سلوكيات البلطجة

كما بينت دراسة جرادات (2008) التي أجريت على عينة من طلبة وطالبات الصفوف من السابع إلى العاشر في الأردن أن الإناث يمارسن سلوكات البلطجة في غرف الدراسة، بينما يمارسها الذكور وهم في طريقهم للمنزل. ويشير (Anthony A. Volk, et al., 2012) إلى انتشار سلوكات البلطجة بين المراهقين بصفة عامة بنسبة تصل إلى 60 %.

وفي مصر تنتشر الظاهرة في مرحلة المراهقة وما بعدها، ولكن معدلات الانتشار تعتبر مجهولة نظرًا لافتقار الدراسات في هذا المجال. وإذا كانت الظاهرة تعمل لدينا في الخفاء، أي أنها بعيدة عن الوسائل الإعلامية، إلا أنها انتشرت انتشارًا واسعًا بعد ثورة 25 يناير وأصبحت حديث الساعة.

ويكفي الإشارة إلى الأرقام التالية من واقع وسائل الإعلام، وأرقام القضايا التي صدرت عن المحاكم العسكرية: في دمياط القي القبض على شخص عمره 18 سنة وبحوزته طبنجة وعدد من طلقات نارية أثناء قيامه بأعمال بلطجة وترويع المواطنين، وفي الفيوم ألقى القبض على ثلاثة أشخاص يقومون بسرقة المواطنين بالإكراه، وفي الإسكندرية ضبطت أجهزة الأمن (3475) بلطجيًا بشتى أنحاء المحافظة، وفي القاهرة (11234) تنوعت ما بين سرقة بالإكراه وأعمال تخريب وتدمير للممتلكات، وترويع وتخويف باستخدام كلاب للهجوم على المواطنين، وتعدي بالضرب على الآخرين.

ومع بداية العام الدراسي 2010 / 2011 في محافظة بني سويف تعدي تلميذ بالصف الثاني الابتدائي على زميله بالمطواة فأصابه بجرح قطعي في صدره (6 غرز)، وفي الإسكندرية قام طالب بإحدى المعاهد الأزهرية الثانوية بالشرع في قتل زميله بألة حادة، وفي مدرسة قلين الثانوية بمحافظة

كفر الشيخ طعن طالب بالصف الثالث الثانوي زميله بمطواة داخل الفصل، وأصابه في منطقة البطن والصدر والرقبة.

وقد كشف تقرير مركز سواسية لحقوق الإنسان أن ظاهرة البلطجة وصلت نسبتها عام 2009 إلى 26 %، أما البلطجة الجنسية فقد تعرضت (900) سيدة للتحرش، (115) للاغتصاب، وقد أشار التقرير إلى أن 77 % من النسب السابقة من محدودي الدخل، أي أن العامل الاقتصادي الاجتماعي له دور كبير في هذا الشأن. ويوضح ذلك ويبينه الفجوة في توزيع الدخل والثروة بين الفقراء والأغنياء، والتفاوت الطبقي بين المواطنين، وعدم قدرة الدولة على الالتزام بتوفير الاحتياجات الأساسية للأفراد، وهو ما يجبرهم على انتهاج طرق غير قانونية لتلبية هذه الاحتياجات، وفي هذا السياق تظهر بعض سلوكيات البلطجة.

أنواع البلطجة

تأخذ البلطجة عدة أشكال:

1. البلطجة الجسدية Physical bullying

وهي بلطجة مباشرة Direct Bullying وغالبًا ما تأخذ شكل علني في الاعتداء على الضحية، وتشمل: الضرب، والوخز، الخنق، شد الشعر، العض (Ericson, 2001). في حين يرى كريس لي Chris Lee (2004, 9) أن البلطجة الجسدية ليست مجرد اللكم والركل، وإنما تتخذ أشكالًا غير مباشرة بما في ذلك الاستيلاء على الممتلكات، وإلحاق الضرر بالممتلكات، أي أن هناك مظهر مادي للبلطجة ولكن لا يتمثل في الأثر الجسدي. من هذه الأشكال المدرجة في البلطجة الجسدية أو المادية: الابتزاز extortion وهو التهديد بالعنف الذي يؤدي إلى تخلي الضحية عن ماله وممتلكاته، أو الإيذاءات ولغة الجسد والتهديد الذي يؤدي إلى التخويف.

2. البلطجة اللفظية Verbal bullying

وتشمل: المناداة بألفاظ سيئة، إثارة الغيظ، النميمة. فالبلطجة اللفظية هي أي عمل ضار مباشر أو غير مباشر بحيث ينطوي على الكلام أو الكتابة، ووصف الآخر بأساء غير محببة إليه بهدف إغاضته، وهذا النوع من البلطجة يكاد يكون منتشر في جميع المدارس (Irina Parkins, 2005).

3. البلطجة الانفعالية Emotional bullying

وتشمل: النبذ، الإرهاب، الابتزاز، تشويه السمعة، الإذلال. وقد شاهد

المؤلف في قناة المحور لقطات من هذا النوع من البلطجة، حيث قام عدد من البلطجية بتقييد شاب بعد أن أوسعوه ضرباً، واقتادوه في الشوارع مرتدياً ملابس داخلية نسائية، إمعاناً في إذلاله، والفيديو على موقع اليوتيوب تحت عنوان بلطجة المطرية.

4. الباطجة الجنسية Sexual bullying

وتشمل: العديد من الأفعال السابق ذكرها بالإضافة إلى الاستعراض (كشف العورة)، إشباع الرغبات الجنسية عن طريق النظر إلى الأعضاء الجنسية أو مشاهدة الأعمال الجنسية، المراوغة الجنسية Sexual propositioning والتحرش الجنسي Sexual harassment والإساءة الجنسية والتي تتضمن الاتصال الجسدي أو الهجوم الجنسي Sexual assault. وقد بينت الدراسات أن العلاقات الجنسية والعنف بين المراهقين تحظى باهتمام متزايد في وسائل الإعلام ووكالات الصحة العامة، في حين لم تدرس السلوكات الجنسية بين الطلبة المشاركين في البلطجة، على الرغم من أن الدراسات أثبتت أن السلوك الجنسي المنحرف من المخاطر التي تنتج عن البلطجة (Prinstein & La Greca, 2004).

5. الباطجة العنصرية Racial bullying

وهي صورة من البلطجة غير المباشرة، وتأخذ أشكال العزلة الاجتماعية social isolation والتهميش المتعمد (Carney & Merrell 2001). فحياة الناس مليئة بأنماط متعددة من البلطجة، حيث يمارسها الناس في مواقف الحياة المختلفة، ويقصد-هنا- العنف المعنوي،

أو ما يطلق عليه في أدبيات علم الاجتماع القانوني وسوسيولوجيا الجريمة في المرحلة المعاصرة تنكيد المعنويات أو المناكدة اليومية Harcelement والذي يقصد به عدم قبول الآخر، والتحاور مع الغير بشكل فيه نوع من الإزعاج والتنغيص، وعدم احترام لغة الآخر وأفكاره، والصراع الكلامي بين الأنا والآخر، مما شكل نوعاً من التكدير الاجتماعي، ويصبح بتكراره واستمراريته عائقاً أمام الإبداع الإنساني.

6. الباطجة السيبرية (Cyber bullying via cell phone) (or Internet)

تتقدم التكنولوجيا على مستوى العالم بشكل كبير، ويشارك الشباب بشكل متزايد في مجال الاتصالات عبر الإنترنت، وتقدر بعض الدراسات عدد المراهقين المستخدمين للإنترنت بـ 90 %، في حين 50 % يستخدمونه بشكل يومي. ومن تتراوح أعمارهم من (12-18) عاماً كانت نسبة استخدامهم للإنترنت في الولايات المتحدة 97 % (Ybarra, 2004).

وفي ضوء هذه التقديرات يتبين مدى إقبال الشباب على الإنترنت وبخاصة المنتديات الاجتماعية، حيث يتم التعارف بينهم عن طريق تبادل الصور وكاميرات الويب، مما يسهل على بعض المحترفين استخدام هذه الصور بشكل سيء عن طريق برامج خاصة، ومن ثم ابتزاز الطرف الآخر، كما يقوم البعض بعمل «هاكرز» على أجهزة الآخرين وكشف ما بها بل وتدمير البيانات الخاصة (Lenhart & Madden, 2007). ومع انتشار الهواتف المحمولة ذات التقنية العالية يقوم البعض بإرسال رسائل مصورة، أو التقاط

صور لأشخاص دون علمهم ثم نشرها على صفحات الويب، أضف إلى ذلك ملفات الفيديو الفاضحة والتي تفرض من قبل بلطجية على هواتف ضحايا كثيرين، علاوة على مكالمات غير مرغوب فيها، ورسائل صوتية عبر البريد الصوتي.

ولقد أوضحت دراسة بيران ولي (Beran & Li) (2005) أن البلطجة السيريرية شكل متخفي من البلطجة التقليدية، والتي تعتمد على عوامل نفسية، حيث تعطي للفرد الإحساس بالقوة دون التلاقي وجهاً لوجه. وفي هذا النوع من البلطجة يجد ضحايا البلطجة التقليدية أنفسهم حتى يصبحوا بلطجية من وراء ستار، بعد أن فقدوا ذواتهم أمام بلطجية آخرون على أرض الواقع. وفي البلطجة الإلكترونية أو السيريرية تتوفر أهم العناصر التي تتوفر في البلطجة التقليدية مثل: التكرار، والتسلط، والهيمنة، وسوء النية.

وتأتي قوة البلطجي عبر الإنترنت في قدرته على إخفاء هويته عن طريق استخدام تقنية حديثة، مما جعل البلطجة الإلكترونية بأشكالها المتعددة تمثل خطورة على المجتمعات؛ لأن الأفراد الذين لا يستطيعون البلطجة على غيرهم بالمعنى التقليدي الذي يحتاج إلى قوة جسدية، أو حمل سلاح لتهديد الآخرين، أصبح لديهم البديل الذي يستترون خلفه ويكدرن معنويات الآخرين.

علاوة على أن البعض يستخدم الهواتف الجوالة في إلحاق الضرر بالآخرين عن طريق إرسال رسائل نصية تحمل ألفاظاً نابية، وأيضاً إرسال رسائل تهديد وابتزاز، كما يقوم بعضهم بإرسال رسائل تحتوي على فيروسات لإلحاق الضرر بجهاز الضحية. ولقد بينت دراسة لاركن (Larkin) (2007) أن هذا النوع من

البلطجة والذي يطلق عليه «البلطجة السيبرية» -نسبةً إلى نوادي الإنترنت- ينتشر بنسبة تتراوح من 17 إلى 30 % بين طلبة المدارس الثانوية، كما ينتشر هذا النوع من البلطجة بين البنين والفتيات على السواء، وذلك عن طريق الإنترنت والهواتف وغيرها من الوسائل الإلكترونية، بهدف إلحاق الضرر للآخرين، والتسبب في حرجهم وإيلامهم نفسياً.

وقد أدى ذلك إلى فقدان الثقة بين زملاء الدراسة وأقرانهم، مما أثر على علاقاتهم بعضهم البعض وفقدان المساندة الاجتماعية بينهم، حيث بينت نتائج البحوث أن بعض المشاركين (عينات الدراسة) الذين لم يتمكنوا من التعرف على هوية المعتدي عليهم إلكترونياً في حالة من الشك تجاه أقرانهم. وتجدر الإشارة إلى أن البعض يسعى حثيثاً لممارسة البلطجة الإلكترونية، وقد تبين أن السبب في ذلك متنوع بين سبب داخلي وآخر خارجي، أما السبب الداخلي فقد كشف عن وجود مشكلات سلوكية ونفسية، وتمثل السبب الخارجي في الاضطراب العاطفي، والإغراء الجنسي.

إن ضحايا البلطجة السيبرية حالة خاصة من الإيذاء تحدث من خلال استخدام النص الإلكتروني سواء عن طريق الهواتف الخلوية أو أجهزة الكمبيوتر الشخصية، وقد وصف بعضهم توظيف الشباب لهذه التقنيات لصالح ميولهم العدوانية متمثلاً في المضايقات وتشويه السمعة وانتحال الهوية والإقصاء، وإرسال رسائل تهديد، والتحرش عن طريق إرسال صور فاضحة ومقاطع فيديو، ونشر الشائعات والمعلومات الشخصية على الإنترنت.

وداخل كل فئة من أنواع البلطجة تحدث سلوكيات متباينة في الشدة، على الرغم من أنها مرفوضة وغير مقبولة كلها. هذه الجرائم تتم على أرض

المدرسة، ومن قبل تلاميذ قاصرين، وهذا لا يجعلها أقل من الجرائم التي تتم خارج نطاق طلبة المدارس. ومن الضروري معرفة أن البلطجة موجودة بمستويات مختلفة ويجب أن تأخذ هذه المستويات مأخذ الجد؛ لأن بعضها وإن كان غير ضار ظاهرياً إلا أن السكوت عليه ينقل صاحب السلوك إلى مستويات متقدمة من البلطجة.

الفصل الثالث

البلطجة في المدارس

البلطجة في المدارس تحظى باهتمام الباحثين والآباء والمربين والطلاب، على الرغم من الافتراض الشائع بأن البلطجة قد تكون جزءاً طبيعياً من مراحل النمو في الطفولة، وما تحويه هذه المرحلة العمرية من مظاهر طفيفة للبلطجة مثل: المضايقات، والعنف الموجه، و... إلخ، ومع ذلك وجد الباحثون أن البلطجة مشكلة يمكن أن تنمو وتتفاقم حتى تصبح جزءاً من الشخصية.

وقد بينت دراسة موسيس (Moses, W (2011). تصورات المعلمين والطلاب للجوانب النفسية والجسدية المسببة للبلطجة بين طلاب المدارس في المنطقة الغربية بكنيا، وكان الهدف من الدراسة وضع التصورات النفسية والفسولوجية للمعلمين والطلاب كأسباب للبلطجة بين طلاب المدارس بعد أن أصبحت البلطجة من ملامح الأزمة المعاصرة في المدارس. واستندت الدراسة إلى نظرية «ألبرت باندورا» في التعلم الاجتماعي، و«كورت لوين» في نظرية المجال، وقد خرجت بتوصيات من أهمها: ضرورة عمل برامج نفسية وتربوية يتم تنفيذها في المدارس على الطلاب المشكلين، وتبصير الطلبة المستجدين بمخاطر سلوكيات البلطجة، وضرورة الإبلاغ عن الشخص الذي يصدر عنه تلك السلوكيات، وتعزيز الأساليب المختلفة لمكافحة سلوكيات البلطجة بكل أشكالها في جميع المدارس.

ومن الدراسات التي هدفت إلى معرفة العوامل التي يمكن دراستها وعن طريقها نستطيع أن نتوقع وجود سلوكيات بلطجة أم لا كانت دراسة تشاد (2011) Chad M.، عن طريق فحص البيانات الخاصة بالضحايا من واقع السجلات، وأيضا مقياس البلطجة متعدد الأبعاد. وقد بينت النتائج وجود عصابات من الطلاب داخل المدارس، وانتشار أسلوب الكتابة على الجدران، وتعاطي المخدرات. كما تبين أن الطلاب ضحايا البلطجة يعانون من مشكلات نفسية وعدم توافق نفسي، أيضا تم التعرف على وجود سلوكيات بلطجة من خلال التنبؤ عن طريق الأداء المدرسي، والمشاركة في الأنشطة المدرسية، والالتزام داخل الفصل، وعدد المشاجرات من قبل الشخص.

وقد شهد المجتمع المصري في الآونة الأخيرة تلك الظاهرة التي أصبحت تشكل قلقًا حقيقيًا داخل الأسرة المصرية، وتشغل بال الكثير من أولياء الأمور، والترابويون، وعلماء النفس، حيث ترجع خطورة هذه الظاهرة ليس فقط في كمية أعمال العنف، وإنما في الأساليب التي يستخدمها الطلاب في تنفيذ هذا السلوك كالقتل والهجوم المسلح ضد الطلاب من ناحية والمدرسين من ناحية أخرى، مما أدى إلى تحول المدارس من محراب للعلم إلى ساحات للقتال بين الطلاب في بعض الأحيان.

إن الطلاب الذين يمارسون سلوكيات البلطجة غالبًا ما يكون لديهم مشاعر قوية لتملك الآخرين والسيطرة عليهم، ويحتاجون أن يشعروا بالقوة، ولا يشعرون بالراحة إلا إذا قاموا بالاعتداء على الآخرين، ويساعدهم على ذلك سلبية ضحاياهم، وعدم الدفاع عن أنفسهم بأي حق مشروع. وغالبًا ما تكون البلطجة نوع من التمرد Rebellion والثورة ضد السلطة الأبوية،

أو ضد المجتمع وقواعده وقيمه، أو ضد معتقدات سياسية، وبالجملة ضد كل المعايير المقبولة، كما أن التمرد يمكن أن يكون ضد النفس، وهو ما يؤدي إلى تكوين صورة سالبة عن الذات.

وقد ساعد على ذلك المناخ الذي يسيطر على عدد كبير من المؤسسات التربوية، وهو مناخ الكبت الفكري الذي يعمل على تعطيل طاقات الفرد، ويؤدي أحياناً إلى رفض الطالب لتلك المؤسسات وللعلم بشكل عام، كما أن التربية بينيتها وتوجهاتها وأساليبها تعمل في كثير من الأحيان على تكريس مناخ السلطوية، التي هي الخضوع التام للسلطة بدلاً من التركيز على الحرية. فالسلطوية هي استخدام القوة لذات القوة، ومن صورها: الشدة والعقاب والتهديد والتوبيخ والعنف والحرمان من الحقوق، وعدم مراعاة إنسانية الإنسان (يزيد السورطي، 2009، 9).

هذا التسلط يقود التلميذ إلى نتائج سلبية منها: الشعور بالذنب، وضعف التركيز، والشعور بالعدوان المضاد، والتحول نحو الإجرام، وعندما يتحول إلى شخص مضاد للمجتمع يزداد رفض الأسرة له وعنفها ضده مما قد يقوده إلى الإدمان أو الانتحار أو البلطجة. وقد بينت الدراسات أن الطلاب البلطجية ينتمون غالباً لأسر تتميز بالطابع السلطوي، وأن آبائهم يميلون لاستخدام الحزم والانضباط والشدة والعنف والعقاب الجسدي في معاملاتهم مع أبنائهم.

وعلى العكس من ذلك نجد الطلاب الذين يشعرون بالأمن والآمان داخل المدرسة والمجتمع يكونون أكثر مشاركة في النشاطات المقدمة لهم من هذه البيئات. في حين أن البلطجة تنتهك حق الطالب في الكرامة الإنسانية والحرية والخصوصية والأمن، كما أنها ذات تأثير سلبي على كل من

الضحية والبلطجي من الناحية الجسدية والنفسية والاجتماعية والتعليمية والعاطفية.

ومن الواضح أن هذه الظاهرة تفتقد إحصائيات دقيقة لأنها حسب توصيف الخبراء ليست عنفاً مجرماً يسجل كحوادث، وإنما سلوكيات فردية تستشعرها الأسر بشكل واضح، وتؤثر في مسيرة أبنائها التعليمية، حيث قد يصل الأمر مداه إلى القتل وتفاجأ الأسرة أن ابنها قد تحول إلى مجرم يضيع عمره خلف السجون.

ويؤكد المؤلف ازدياد العنف بين طلاب المدارس، وأن العديد من طلبة المدارس يظهرن سلوكاً عدوانياً بشكل متكرر، ومن أبرز تلك المظاهر التي يبدونها الطلاب في المدارس: الضرب بالأيدي، واستخدام الأدوات الحادة والتي وصلت في كثير من الأحيان إلى استخدام التلاميذ للمطاوي والسنج والجنازير، علاوة على السب والتفوه بألفاظ نابية، وإتلاف أثاث المدرسة وتخريب ممتلكاتها، واعتداء الطلاب الكبار على الصغار، الأمر الذي أعاق بالفعل العملية التربوية ووقف حاجزاً أمام المعلم في توصيل رسالته.

وعند استطلاع آراء الطلاب في المرحلة الثانوية عن رأيهم في سبب هذا الكم من العنف والعداء فيما بينهم، أوضح بعضهم أن سبب العنف يرجع إلى الطلاب أنفسهم وسلوكهم، بغض النظر عن التفوق العلمي أو الفشل، حيث أكدوا أنهم يتعرضون للبلطجة داخل أسوار المدرسة أو خارجها، من قبل الطلاب الأكبر سنًا منهم، والتي قد تصل إلى حد الاشتباك بالأيدي مما يضطر الطالب الضحية من الفرار إن تمكن من ذلك حتى لا يتعرض للإيذاء البدني والذي تصل خطورته إلى إحداث علامات في وجهه.

البلطجة في العمل

إذا لم يتم التعامل مع سلوكيات البلطجة في مراحل النمو المختلفة وأثناء فترة التعليم فإن هذه السلوكيات تنتقل بعد ذلك إلى أماكن العمل وهو ما يعرف بالبلطجة في أماكن العمل Workplace Bullying

وعلى العكس مما يعتقد البعض فإن البلطجة لا يقتصر وجودها في ملاعب المدرسة أو الطرقات فقط، وإنما نراها بشكل متزايد في أماكن العمل، والبلطجة في أماكن العمل تتخذ أشكالاً عديدة مثل التحرش الجنسي، والاعتداء البدني، والتمييز العنصري، والاعتداء النفسي وهو الأكثر شيوعاً. وتجدر الإشارة إلى أن هناك حدوداً ثابتة بين هذه الأشكال المختلفة من البلطجة، وقد وضع راندل Randall (1997) تعريفاً للبلطجة في العمل مستفيداً من الأدبيات السابقة فقال: «هو سلوك عدواني يحدث في مكان العمل مع توفر النية للضغط النفسي على الآخرين، وليس بالضرورة تكرار السلوك بانتظام».

لقد بينت البحوث أن البلطجة في أماكن العمل ظاهرة متفشية، ويدفع ثمنها غالباً كلاً من الموظف الضحية والمؤسسة ذاتها، ومن الجلي أن بعض الضحايا قد يتعرضون لمثل هذه التجربة مرة واحدة إلا أنها تكون بمثابة القشة التي قسمت ظهر البعير فتؤدي في النهاية إلى تدمير حياتهم المهنية والصحية أيضاً. ويتضح سلوك البلطجة في العمل عندما يستخدم شخص ما المعلومات الشخصية لشخص آخر محاولاً إذلاله وتشويه سمعته أمام الآخرين، والضغط عليه لإتمام مهمة معينة أو عمل معين في زمن قياسي، وقد تستخدم البلطجة

بشكل آخر عن طريق إعطاء تعليمات لأقران الضحية بعدم التحدث معه، أو أن يبدي ملاحظاته بطريقة ساخرة، وتشويه السمعة المهنية.

ويزداد الأمر سوءاً عندما يصل الشخص الذي يتسم سلوكه بهذه الصفات إلى مواقع قيادية ويساهم في انتشار الفساد، ولقد رأيناه في أكثر من مؤسسة من مؤسسات الدولة، فتجده يتخذ القرارات في الشأن العام وفق اعتبارات المصلحة الخاصة وليس وفق الصالح العام، وهذا النوع من الفساد يصيب قطاعات كثيرة في المجتمع بدرجة أو بأخرى وبالتالي تقل أو تنعدم الكفاءة المجتمعية وتتعطل فرص التنمية حتى تصدق فيه الآية الكريمة: ﴿وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفُسَادَ﴾ [البقرة: 205].

إن البلطجة موجودة في كل المؤسسات ومن السذاجة افتراض أحد المدراء عدم وجودها في مؤسسته، حيث تشير التقديرات في الدول الصناعية إلى أن 25% من الموظفين ضحايا للمضايقات والتحرش أو التهديد أو الاعتداء البدني، وقد بينت دراسة رينر Rayner, 1997 في المملكة المتحدة والتي شملت أكثر من (1000) مشارك أن (53%) قد تعرضوا للبلطجة في أماكن العمل خلال حياتهم المهنية، وأن (77%) شاهدوا ذلك يحدث لموظفين آخرين خلال حياتهم المهنية، وأشارت دراسة أخرى أن حوالي (90%) من أماكن العمل تعاني من البلطجة (Glendinning, 2001)، وتؤكد منظمة العمل الدولية International Labor Organization (ILO) على أن البلطجة من أخطر المشكلات التي تواجه أماكن العمل في الألفية الجديدة (CSC, 2004).

والحقيقة أن ظواهر البلطجة في العمل لم تعد قاصرة على الصور السابق ذكرها، بل إن الرشوة صورة من صور البلطجة لأنها تطلب وتفرض وبدونها لا يستطيع المواطن أن ينهي عمله في أي مؤسسة (إلا من رحم ربي)، حتى تحولت الرشوة إلى إكرامية حتى يستساغ فعلها إلى أن أصبحت سلوك عام. لقد أوضحت الدراسات في كل من الولايات المتحدة والمملكة المتحدة أن ما يقرب من (50%) من البلطجية في أماكن العمل من النساء، وهو عكس الافتراض الشائع بأن الرجال فقط هم من يتصرفوا بسلوكات البلطجة، ومع الأسف ليس من السهل التعرف على البلطجية في أماكن العمل، حيث لا يوجد توصيف قياسي للبلطجي داخل نطاق العمل، ومعظمهم ليسوا بلطجية أمام أسرهم أو في الأماكن العامة، كما أن هذا البلطجي قد يكون ضحية للمشرف عليه في العمل أو رئيسه المباشر، أو أحد الزملاء، أو أحد العملاء المترددين على المؤسسة، وبالتالي يكون سلوك البلطجة الصادر منه ليس سوى نمط من السلوك يفرض عليه فرضاً.

وقد اختلفت وجهات النظر بين العلماء على السمات الشخصية للبلطجي، فمنهم من يرى أن الشخص البلطجي ضعيف وغير كفء وغير ناضج، ومنهم من يرى أنه شخص ذكي جداً وماهر في التلاعب وتشويه الحقائق، ومع ذلك يتفق الجميع على أن الشخص البلطجي لم تتشكل علاقاته الإنسانية عموماً بشكل كافٍ، وأنه يحصل على بعض الرضا من معاناة ضحاياه.

وعن العلاقة بين البلطجة في العمل والاضطرابات النفسية جاءت دراسة نولفي وآخرون (Nolfe, et al (2009 في الفترة بين (2001 - 2007) على مجموعة من الرجال والنساء لهم تاريخ طبي في مركز الطب النفسي التابع

لوزارة الصحة في نابولي (إيطاليا). وقد أجريت الدراسات الإكلينيكية، وكانت فترة المتابعة ستة أشهر بحد أدنى، ووفقًا لمعايير التشخيص الواردة في الدليل التشخيصي والإحصائي الرابع DSM-IV مع الأخذ في الاعتبار متغيرات السن، والجنس، والتعليم، وطبيعة العمل، ودرجة الخطورة الناتجة عن البلطجة. وقد تم التركيز من حيث التشخيص على ثلاث فئات أكثر عمومية: اضطرابات المزاج، اضطرابات القلق، اضطرابات التوافق.

وقد وضعت معايير البلطجة في العمل على النحو التالي: القمع نفسيًا أو جسديًا، التحرشات، الاعتداءات المتكررة والمستمرة، استبعاد الضحية من فريق العمل. وقد أوضحت النتائج أن (31.5%) ينتشر بينهم اضطرابات المزاج، وكانت اضطرابات القلق (8.7%) واضطرابات التوافق (58.3%) بينما التشخيصات الأخرى ليست سوى (1.5%)، وأكدت الدراسة على أن الاضطرابات المسببة للإكتئاب ترتبط ارتباطًا وثيقًا بسلوكات البلطجة المرتفعة، بغض النظر عن نوع الجنس. وأن هناك علاقة بين سوء التوافق والتعرض للبلطجة أثناء العمل لدى النساء اللاتي يتعرضن لمضايقات وتحرشات جنسية في العمل.

ويجب أن نعرف أن السمات الشخصية ليست المسؤولة وحدها عن تطور ونمو سلوك البلطجة، وإنما الثقافة التنظيمية للمؤسسة تقع على عاتقها مسؤولية كبيرة أيضًا، إذ من الممكن أن تكون بيئة خصبة تساعد على نمو مثل هذه السلوكيات، وهناك ثلاثة ثقافات تنظيمية في معظم المؤسسات أكثر شيوعًا من غيرها هي:

□ ثقافة المكسب والخسارة.

□ ثقافة إلقاء اللوم.

□ ثقافة التضحية.

أما ثقافة المكسب والخسارة فإن الشائع فيها أن الشخص يعمل مع نفسه ويحجب المعلومات عن الآخرين، وهذه الثقافة تخلق بيئة تنافسية شديدة وسط فريق عمل صغير، وتؤدي ثقافة إلقاء اللوم إلى الخوف من الخروج عن النهج المرسوم حتى ولو كان الخروج صحيحًا ولا بد منه، وعدم التفكير خارج الصندوق حتى لا يتعرض للوم، في حين تقوم ثقافة التضحية على تقديم العمل على الحياة الشخصية وهي أيضًا في نهاية المطاف أمر سوء.

ومن الخصائص التنظيمية الأخرى التي ربما تساعد على وجود البلطجة داخل المؤسسات هو الخوف على المركز أو المكانة، وهو أسلوب استبدادي في الإدارة، وضعف في المشاركة، وبالتالي أعباء مفرطة في العمل، وتسويق في إجراءات حل المشكلات. والأفضل أن تكون بيئة العمل بيئة صحية قائمة على الوضوح واحترام التوازن بين العمل والحياة الشخصية، والتيسير على الناس للقيام بأعمالهم، والتعامل مع النزاعات بشكل فوري.

البلطجة في الشريعة الإسلامية

البلطجة في الشريعة الإسلامية هي الحرابة؛ لأن كلاهما يشكل اعتداءً بالسطو وقطع الطريق على المارة. والمؤلف يرى أن معنى الحرابة يتطابق مع معنى البلطجة من حيث توافر الشروط والأركان، حيث إن البلطجة صورة من صور جريمة الحرابة في الشريعة الإسلامية، إلا أن لفظ البلطجة عندما يُطلق فإنه يتجه لما يقع من فساد واعتداء متكرر، مع ملاحظة أن الأسماء الموضوعية لمعاني يمكن أن يطلق أحدها على الآخر إذا تحقق المعنى الجامع بينهما، فيطلق على البلطجة اسم الحرابة قياساً على قطع الطريق في البر.

يقول تعالى: ﴿ إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِّنْ خَلْفٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ [المائدة: 33]. أقصى العقوبات بالنص القطعي هي عقوبة الحرابة، أو ما أطلقنا عليه في هذا الكتاب اسم «البلطجة»؛ لأن جريمة قطع الطريق، أو الحرابة، أو البلطجة، أو الخروج على الناس لأخذ المال منهم مجاهرة بالقوة والقهر، يؤدي إلى امتناع الناس عن المرور وانقطاع الطريق، سواء ارتكب هذه الجريمة فرداً أو جماعة، بسلاح أو غيره، ويسمى مرتكب هذه الجريمة بالمحارب، والأصل في عقوبتها يرجع إلى الآية الكريمة في سورة المائدة.

إن المحافظة على كيان المجتمع واستقراره هي الغاية التي تهدف إليها الشريعة، ولذلك رصدت العقوبات اللازمة لكل من تسول له نفسه زعزعة الأمن وتهديده ومحاربة السلطة الشرعية وقطع الطريق على الناس

والاعتداء على أرواحهم وأعراضهم وأموالهم بالقوة. ويعد مثل هذا الشخص في الشريعة الإسلامية محارباً لله ولرسوله ومن الساعين في الأرض بالفساد. والحاربة من أكثر الجرائم جسامة حيث تصيب المجتمع في مصالحه الضرورية، ويضطرب معها الأمن الداخلي للدولة اضطراباً شديداً، إذ ينتشر الرعب والفرع بين أفرادها، وتجعلهم غير آمنين على أنفسهم وأعراضهم وأموالهم، ولذلك نجد أن الشارع وضع لها عقوبة تتلاءم مع هذه الجسامة، هذه العقوبة تتناسب مع الجرم الذي ارتكبه المعتدي على قيم المجتمع.

البلطجة في القانون

لقد أكد الله تعالى على خطورة الاعتداء على الحياة، وعلى سلامة الجسم حين يقع عمداً، وجسامة الضرر الاجتماعي الذي يترتب على هذه الجرائم، والذي يتمثل من ناحية في هلاك عدد من أفراد المجتمع أو صيورتهم مشوهين، مما يضعف من المجتمع ويقلل من قدرته على التقدم والازدهار، ويتمثل من ناحية أخرى في تفشي جرائم الأخذ بالثأر، مما يؤدي إلى اضطراب الأمن وشيوع الفوضى في المجتمع، يقول تعالى: ﴿مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا﴾ [المائدة: 32].

وقد حرص المشرع المصري على تجريم البلطجة بموجب القانون رقم (6) لسنة 1998م، حيث أضاف باباً جديداً (الباب السادس عشر) المعنون: الترويع والتخويف (البلطجة). وقيل تبريراً لتجريم هذه الظاهرة إنه: ولما كان قانون العقوبات مظهرًا من مظاهر الحياة الاجتماعية، فإنه ينبغي أن يساير روح العصر ومقتضياته، وأن يتصدى بالتجريم والعقاب لكل أمر يكشف واقع الحال عن ضرورة التصدي له، ومن ثم كان هذا الفرع من فروع القانون أكثرها عرضة للتطور ومسايرة لمقتضيات العصر ومطالب المجتمع (محمود العادلي، د.ت، 2).

وجريمة البلطجة إما أن تكون بسيطة أو مشددة. ولقد تكفلت الفقرة الأولى من المادة 375 مكرر عقوبات ببيان جريمة البلطجة في صورتها البسيطة، إذ نصت على أنه: مع عدم الإخلال بأية عقوبة أشد واردة في نص آخر يعاقب بالحبس مدة لا تقل عن سنة كل من قام بنفسه أو بواسطة غيره

باستعراض القوة أمام شخص، أو التلويح له بالعنف، أو بتهديده باستخدام القوة، أو العنف معه أو مع زوجه أو أحد من أصوله أو فروعه، أو التهديد بالافتراء عليه أو على أي منهم بما يشينه، أو بالتعرض لحرمة حياته أو حياة أي منهم الخاصة، وذلك لترويع المجني عليه أو تخويفه بإلحاق الأذى به بدنياً أو معنوياً، أو هتك عرضه أو سلب ماله أو تحصيل منفعة منه أو التأثير في إرادته لفرض السطوة عليه أو لإرغامه على القيام بأمر لا يلزمه به القانون أو لحمله على الامتناع عن عمل مشروع أو لتعطيل تنفيذ القوانين أو اللوائح أو مقاومة تنفيذ الأحكام أو الأوامر أو الإجراءات القضائية أو القانونية واجبة التنفيذ، متى كان من شأن ذلك الفعل أو التهديد به إلقاء الرعب في نفس المجني عليه أو تكدير أمنه أو سكينته أو طمأنينته أو تعريض حياته أو سلامته للخطر أو إلحاق الضرر بشيء من ممتلكاته أو مصالحة أو المساس بحريته الشخصية أو شرفه أو اعتباره أو بسلامته إرادته (معوض عبد التواب، 1998، 23).

في حين أن جريمة البلطجة في صورها المشددة استغرقت بقية فقرات المادة 375 مكرر مع المادة 375 مكرر (أ) بأكملها. فقد نصت الفقرتان الثانية والثالثة من المادة الأولى على أنه: وتكون العقوبة الحبس لمدة لا تقل عن سنتين إذا وقع الفعل أو التهديد من شخصين فأكثر أو وقع باصطحاب حيوان يثير الذعر أو بحمل سلاح أو آلة حادة أو عصا أو أي جسم صلب أو أداة حارقة أو كاوية أو غازية أو منومة أو أية مادة أخرى ضارة (محمود العادلي، د.ت، 7).

وتكون العقوبة الأشغال الشاقة المؤقتة أو السجن إذا ارتكبت جريمة

الجرح أو الضرب المفضي إلى موت، المنصوص عليها في المادة (236)، فإذا كانت مسبقة بإصرار أو ترصد تكون العقوبة الأشغال الشاقة المؤبدة أو المؤقتة، وتكون العقوبة الإعدام إذا تقدمت الجريمة المنصوص عليها في المادة السابقة أو اقترنت أو ارتبطت بها أو تلتها جناية القتل العمد المنصوص عليها في الفقرة الأولى من المادة (234) (محمود العادلي، د.ت، 8).

وبعد ذلك صدر الكتاب الدوري رقم 8 لسنة 2006 بشأن عدم دستورية قانون البلطجة، وكان نتيجة ذلك أن انتشرت الظاهرة بين أفراد المجتمع، وبين طلبة المدارس والجامعات، وخاصة بعد أن لاحظ الجميع أن البلطجي القاتل تتراوح مدة سجنه بين ثلاث وخمس سنوات؛ لأن البلطجي لا يسجن بجريمة البلطجة، ولكنها تقيد على أنها مشاجرة.

وإذا كان الشارع المصري قد شهد في الآونة الأخيرة، وخاصة بعد أحداث ثورة 25 يناير تزايداً في ظاهرة «البلطجة» على نحو لم يكن مألوفاً من قبل في المجتمع بما تتضمنه تلك الظاهرة من ترويع للمواطنين وتهديد صارخ لأمنهم وسلامتهم، فقد بات لزاماً على المشرع أن يتدخل لمواجهة تلك الظاهرة الخطيرة حفاظاً على أمن المجتمع وسلامة أفرادها، ولذلك أصدر المجلس الأعلى للقوات المسلحة مرسوماً بقانون رقم 7 لسنة 2011 بشأن تعديل بعض أحكام قانون العقوبات الصادر بالقانون رقم 58 لسنة 1937، بحيث تبدأ العقوبة من الحبس سنة لكل متهم بالترويع والتخويف والمساس بالطمأنينة «البلطجة»، وتصل إلى السجن المؤبد كعقوبة مقررة لأية جنحة أخرى تقع بناء على أي شكل من أشكال الترويع، وصولاً إلى عقوبة الإعدام إذا اقترنت جريمة البلطجة بجناية القتل العمد، ويقضى في

جميع الأحوال بوضع المحكوم عليه تحت مراقبة الشرطة، كعقوبة مقيدة للحريات، مدة مساوية لمدة العقوبة المحكوم بها عليه بحيث لا تقل عن سنة ولا تجاوز 5 سنين.

ويميل المؤلف إلى رأي «مونتيسكيو»⁽¹⁾ Montesquieu حيث نادى بضرورة مراعاة حالة كل فرد وظروفه وأوضاعه عند تقرير العقاب، وقال إن الغرض من العقوبة هو كبح جماح المجرم وتقليل عدد المجرمين إلى أدنى حد ممكن، وذلك بتطبيق العقوبات القاسية وإنما بأن يوقن المجرم ويتحقق بأنه لن يفلت من العدالة، فالمهم ضمان توقيع العقاب وليس النص على عقوبة قاسية.

لأن القوانين ليست السلطة النهائية المحددة لرغبات الفرد وشهواته، وبالتالي فمتى استطاع الفرد تحقيق رغباته دون احتمالية أو إمكانية وقوعه تحت طائلة القانون فإنه سيعمل على تحقيقها وإشباعها؛ لأن رقابة القانون رقابة خارجية، والرقابة الخارجية مهما بلغت دقتها وتقنياتها فإنها لا يمكن أن تكون الرادع للإنسان؛ لأنه قادر على التخفي والمراوغة والتحايل.

ومن هنا فنحن في حاجة إلى تربية تعمل على خلق الرقابة الداخلية في ذات الفرد ليكون رقيباً على ذاته، رقابة داخلية مستمرة من ضمير حي وسلم قيمي أخلاقي يعيش كل وجدانه وعقله.

(1) شارل لوي دي سيكوندا المعروف باسم: مونتيسكيو Montesquieu (1689-1755)، فيلسوف فرنسي، صاحب نظرية فصل السلطات. أهم كتبه كتاب: روح القوانين، نُشر عام 1748 في جنيف.

الفصل الرابع

أسباب البلطجة

إن ظاهرة البلطجة ليست ظاهرة مستقلة عما يعترى المجتمع من تغيرات جذرية على المستوى السياسي والاقتصادي والاجتماعي، فاللجوء إلى العنف بدافع إجرامي بحت هو بلا شك نتاج لمتغيرات تراكمت على مدي العقود الأخيرة من تاريخنا، وانفجرت أخيراً في وجهنا تساؤلات كثيرة عن العوامل التي أدت إلى ظهور هذه الظاهرة، وزيادة معدلاتها في الشارع المصري، فالبلطجة ظاهرة معقدة ولها أسباب متعددة ومتفرعة، ولعلاجها أو التعامل معها لابد من تحديد الأسباب وفهمها، ومن هذه الأسباب ما يلي:

1. عوامل بيئية

إن الشخصية الإنسانية هي بدرجة كبيرة انعكاساً للواقع الثقافي الذي يعيشه الفرد. فالمجتمع وثقافته بما يخلقانه من أشكال التفاعل الإنساني وبما ييسرانه من ظروف لنمو الشخصية وتشكلها، يمثلان محددات رئيسة لبناء الشخصية. فالإنسان (الشخصية) كائن حي، اجتماعي وتاريخي، يشتق الكثير من حياته من التراكيب الاجتماعية والتاريخية، وهو كائن محكوم ببعدي الزمان والمكان، يكون أسلوب حياته انعكاساً لثقافة عصره (طلعت منصور، 1982، 419).

لذلك كان اهتمام علماء النفس بآثار البيئة على السلوك ملتحمًا بالمبدأ الرئيسي لنظرية التعلم منذ نشأتها المبكرة من خلال المعادلة التي وضعها

«واطسون»، وهي أن السلوك عبارة عن وظيفة الشخص مضروباً في البيئة، أي أن الشخص باستعداداته المختلفة يعيش في إطار بيئي، ويتبادل كلاهما (الشخص والإطار البيئي) التأثير والتأثير المتبادل.

بل إن تأثير الثقافة Culture والبيئة أحد أكثر الموضوعات إثارة للجدل، حيث إن الأنماط المختلفة من الثقافات من شأنها إنتاج أنماط مختلفة من الشخصيات متسقة مع النمط الثقافي الذي نشأت في ظلّه، وبالتالي يمكن فهم السلوك الإنساني فهماً أفضل إذا ما عرفنا طبيعة المناخ الثقافي الذي يحدث في إطاره هذا السلوك. وتميل البحوث والدراسات التي اهتمت بدراسة ظاهرة البلطجة إلى العوامل البيئية كمسببات أساسية للظاهرة، والتي تدخل ضمن إطار علم النفس النمائي الذي يصف مجموعة من الفروض بدلاً من نموذج نظري محدد، حيث يهتم بالعوامل الأساسية في البيئة والتي تؤثر في النمو سواء سلباً أو إيجاباً.

وقد أوضحت بعض الدراسات الاجتماعية أن الازدحام في المناطق الشعبية يكون من بين العوامل التي تساعد على انتشار الجريمة والأمراض النفسية والشذوذ. وفي الأماكن المزدحمة قد يستجيب الناس إلى الازدحام بالهروب من المكان إذا كان بمقدورهم ذلك، أو بالعدوان والإحباط، وقد تكون الاستجابة بالتكيف للموقف (عبد الستار إبراهيم، 1985، 217). وعلى الرغم من أن تعريفات البلطجة تركز على السلوك العدواني الفردي إلا أن الواقع يقول أن الظاهرة تعمل في سياق اجتماعي، كما أن العديد من الطلاب قد يتورطون في شكل من أشكال البلطجة كنوع من التجربة لتجنب المضايقات التي يتعرضون لها من قبل الآخرين خلال السنة الدراسية.

كما بينت بعض الدراسات أن الأفراد الذين يتسمون بسلوكات البلطجة لديهم نقص في مهارات السلوك الاجتماعي، ومن أجل تخفيف حدة التوتر لديهم فإنهم يلجئون إلى هذا السلوك (Derosier, 2004).

وهكذا بيت الدراسات أن نشأة الفرد في المجتمع تجعله معرضاً لعدد من المثيرات التي تؤثر فيه وتشكله تشكيلاً خاصاً. فالفرد الذي يولد في مجتمع يؤمن بالقوة والعنف ويستهن بالمثل والخلق، يتأثر بهذه المعايير ويشب منهاشياً مع مجتمعه، بعكس من يولد في مجتمع مسالمة يحترم القانون والخلق.

2. عوامل بيولوجية

الوراثة أحد أهم العوامل الهامة المسببة للبلطجة. وهناك قول قديم أن «وصمة الإجرام تجرى في عائلات معينة»، وتؤكد ذلك الدراسات التي أجريت على التوائم والتي وجدت أن الاتفاق في الإجرام بين التوائم المتماثلة أكثر من التوائم غير المتماثلة، حيث تذكر إحدى الدراسات أنه إذا كان أحد التوائم مجرماً كان الآخر مجرماً بنسبة ثلاثة من كل أربعة، بينما في التوائم غير المتماثلة بنسبة واحد من كل أربعة.

كما لوحظ شذوذ في الصبغيات الوراثية Chromosomal Abnormalities حيث يزيد عدد الصبغيات إلى 47 بدلاً من 46 ويصبح تمييزها الجنسي (xyy) أو (xxy) ولوحظ أن السلوك العدواني والمضاد للمجتمع يكثر لديهم خاصة في النوع (xxy) الذي تكثر لديه الذكورة التي تجنح إلى السلوك العدواني، ويصاحب العدوان لديهم باضطراب في العاطفة ونقص في الذكاء.

وقد ركزت دراسات جينوميا الجريمة (استخدام هندسة الجينات للتعرف

على السلوك العدواني للأشخاص) على دراسة الحركات الجينية الفجائية، وقياس مدى تأثيرها على التعبير الجيني من خلال استخدام الموجات الجينية (موجات يتم إنتاجها باستخدام الأجهزة الإلكترونية)، وقد أظهرت الدراسات الأولية لجينوميا الجريمة والتي أجريت على أكثر من 1000 عينة من ولاية كاليفورنيا بالولايات المتحدة الأمريكية أن بعض الأشخاص لديهم الاستعداد الوراثي لارتكاب الجرائم، ومن ثم فإن قليلاً من التوتر هؤلاء الأشخاص قد يؤدي بهم إلى ارتكاب الجرائم، أما الأشخاص الآخرون فليس لديهم الاستعداد الوراثي لارتكاب الجريمة.

وعندما يدرس العلماء أمراضاً يرافقها سلوك معين فإن هذا لا يعني وجود فطرة أو آليات مخلوقة لهذا السلوك، بل يكون التصرف الجامح من التقلبات الفسيولوجية، فإذا حدث خلل في عدد الكروموزومات بحيث يصبح الشخص متخلفاً عقلياً فإن ذلك يؤدي إلى كثرة العنف والإجرام بينهم، ومنهم من يجنح جنسياً، وعموماً ليس كل تغير كيميائي أو تخلف عقلي مقرونين بالجموح. وإذا التذمجرم بجريمة أو أدمن عليها فهو مريض (إبراهيم فريد، 1983، 364). ومع ذلك فليس هناك صلة مباشرة بين الانحرافات البيولوجية والبلطجة، ولكن بعض العوامل البيولوجية قد تجعل الفرد مهيباً للسلوك الإجرامي مثل النمو والتنمية، أي الانحرافات المادية وغيرها من الظروف الناجمة عن المرض (Moses, 2011).

3. عوامل نفسية

الإحباط هو أولى العوامل النفسية التي تؤدي إلى انتشار سلوكيات

البلطجة، وفقدان الأمل في المستقبل وعدم الحصول على فرصة عمل، ووجود علاقة ملتبسة بين المواطن والسلطة، حيث يحمل تجاهها مشاعر رفض وغضب وفي نفس الوقت يدهنها ويخشاها، فينفجر غضبه في أعمال عنف أو بلطجة ضد مواطنين مثله فيقهرهم، أو ضد زوجته وأولاده فيحيل حياتهم جحيماً.

4. جماعة الأقران (الأصدقاء)

تعتبر جماعة الأقران من العوامل الهامة والأساسية للاندماج في أي سلوك. ويوضح عادل الأشول (1982، 498) أن ثقافة المراهقين تتكون من قيم متفردة يشترك فيها الأفراد الصغار ويؤيدونها، وبالتالي تعطيهم الإحساس بالانتماء لجماعة متطابقة، وتتضمن هذه القيم الأذواق في الملابس، أو اللهجة، أو الموسيقى، نشاطات أوقات الفراغ. كما نجدهم يستهجنون بعض النظم الاجتماعية وأصول وآداب السلوك والاحتشام واحترام السلطة.

إن جماعة الرفاق أو الأقران التي ينضم إليها الطفل منذ دخوله مرحلة الطفولة المتأخرة ومع التحاقه بالمدرسة الابتدائية، يكونون عادة من أطفال الجيرة أو من زملائه في المدرسة. وجماعة الرفاق جماعة يدين لها الطفل والمراهق فيما بعد بكثير من الولاء ويعتز بالانتماء إليها وبالتالي يلتزم بمعاييرها وبما تراه من أساليب مستحسنة أو مستهجنة من وجهة نظرها. وقد أكد كلاً من جيني وبوزولي Gini & Pozzoli (2009) على دور الأقران في تعزيز سلوك البلطجة أو الوقاية منه، كما أوضحنا أن سلوك البلطجة يزداد انتشاراً في مرحلة الطفولة المتأخرة والمراهقة، وأن الطلبة يمكن أن يمارسوا

سلوكات البلطجة كاستجابة لضغط الأقران، أو ربما لكسب الشعبية. وسرعان ما يصادق الشخص البلطجي رفاق السوء ويمارسون بشكل جماعي الاعتداء على الآخرين كالسرقة أو السلب أو اغتصاب أموال المارة.

5. عوامل أسريّة

إن أنماط التفاعل داخل الأسرة لها تأثير على أنماط التفاعل بين الأقران، فالأشخاص الذين هم ضحايا للبلطجة هم أكثر عرضة لممارسة البلطجة، والأشخاص الذين ينتمون إلى أسر بها أفراد بلطجية مثل الأب أو الأخ الأكبر، من الممكن أن يتوحد الشخص مع هؤلاء الأفراد الذين ينتمي إليهم ويصبح هو الآخر بلطجياً بالوراثة، وهؤلاء الآباء يكونون غالباً معدومي الدفء العاطفي تجاه أبناءهم، ولذلك يخرج هذا الشخص إلى المجتمع المدرسي راغباً في السيطرة على الآخرين وفرض سيطرته عليهم وخضوعهم له.

والله خلق في الإنسان استعداداً للصالح واستعداداً للفساد، فأبواه يصلحانه، وأبواه يفسدانه، أي إن التربية تربو باستعداده جسماً وعقلاً ونفساً، إن خيراً فخير، وإن شراً فشر. فالإنسان لا حد لغايته رقياً وانحطاطاً، فهو إن يشأ الكمال يبلغ فيه إلى مرتبة الملائكة، وإن شاء تلبس بالذائل حتى أحط من الشياطين. فالترية ملكة تحصل بالتعليم والتدريب والقدوة.

وتكون الأسر التي تتسم بالسلطوية في التربية كثيراً ما يظهر فيها هذا النوع من الانحراف، فالترية التي تقوم على العنف والتعسف والقهر والتسلط ومصادرة الحرية، هي أقصر الطرق لتحطيم الفرد وتدمير المجتمع (يزيد السورطي، 2009، 9).

وتشير بعض الدراسات إلى أن البلطجة غالباً ما تأتي من المنازل، فالأسرة هي الرحم الذي ينشأ فيه الفرد، وينمو ويكتسب ثقافته، ويشكل شخصيته ويستمد سلوكياته، وكثيراً ما يكون الفرد مثل عائلته التي غالباً ما تكون بدورها مثل مجتمعها؛ لأنها تشكل مجتمعاً مصغراً، وتستمد التربية الأسرية أسسها ومبادئها من التنشئة الاجتماعية.

وعندما يتم استخدام العقاب البدني القاسي من قبل أولياء الأمور ضد أبنائهم، فتكون النتيجة أن هذا الفرد يريد أن يرد بالمثل ولكن مع أشخاص آخرين هم زملائه في المدرسة. علاوة على أن الطفل الذي نشأ في أسرة تتسم بالعنف سواء عنف عائلي أو عنف خارج الأسرة، يتعلم أن السبيل الوحيد لتسوية الخلافات مع الآخرين هو العنف، بالإضافة إلى عدم التوافق بين الوالدين، وكثرة المشكلات الأسرية، وعصبية الآباء لأنفسه الأسباب، والشعور بالفشل في التقرب للوالدين والأقارب والأصدقاء.

علاوة على ذلك تساهل الوالدان مع الإبن صاحب السلوك العدواني، بالإضافة إلى أن بعض الآباء يبينوا لأبنائهم أن استخدام القوة وإذلال الآخرين هي سلوكيات وطرق مقبولة للتعامل مع الآخرين. وقد بينت الدراسات أن اختلاف العلاقة بين الآباء والمراهقين قبل فترة المراهقة وبعدها أدت لوجود مشكلات نفسية وجسدية، وعدم توافق اجتماعي.

كما أن فقدان أحد الوالدين أو كلاهما بالموت، أو الانفصال قد يؤدي إلى ازدياد حدة الصراع الداخلي والتوتر مما يسهم أيضاً في تدعيم سلوك البلطجة. بالإضافة إلى أن العنف الأسري، وانتشار الفقر، ورداءة المسكن والتعليم،

وما شابه ذلك من جوانب للحياة على أسفل درجات السلم الاجتماعي تسهم بشكل كبير في انتشار سلوكيات البلطجة (James et al, 2008).

6. إساءة معاملة الطفل ودورة العنف

يعرف فرج طه، وآخرون (2009، 133) إساءة معاملة الطفل Child Abuse بأنها: أي تصرف أو تعامل مع الطفل يظهر فيه اعتداء عليه، أو إضرار أو إيذاء بدني أو نفسي له؛ مثل ضربه بشدة وإحداث جراحات أو عاهات (على نحو ما تطالعنا به الصحف)، أو تشغيله دون سن العمل القانونية، أو الاعتداء الجنسي عليه، أو استغلاله في جرائم ضد القانون (كاستخدامه في الترويج للمخدرات أو نقلها أو بيعها، أو في السرقة أو النصب أو التسول...) أو طرد الطفل من الأسرة للشارع، أو إهماله وعدم الإنفاق عليه... إلخ.

ويعتقد المؤلف أن الأطفال الذين أسيئت معاملتهم يتعرضون لأحداث مستمرة تتحدى نموهم الطبيعي والسليم، بل وتؤدي إلى عدم توافقهم النفسي ببعديه الشخصي والاجتماعي، هؤلاء الأطفال الضحايا يشعرون بالتناقض بين الإحساس بالولاء لأسرهم والخوف منهم، ويعيشون دائماً على أمل ألا تحدث الإساءة مرة أخرى.

وفي بعض الأحيان قد يتناقض العنف البدني ضد الطفل، لكن السلوك المسيء قد يتباين آخذاً صوراً لفظية متمثلة في السباب والشتائم وإطلاق ألقاب مسيئة للطفل، وقد يتناقض العنف البدني ويزيد الإهمال الذي يشمل عدم الرعاية الصحية، وطرد الطفل من المنزل، والسماح له بالتغيب المزمّن عن المدرسة.

أيضاً قد يتناقض العنف البدني وتظهر مكانه الإساءة الجنسية Sexual abuse والتي يتعرض الطفل عن طريقها للعبث بأعضائه التناسلية واللوواط، واستعراض الأعضاء التناسلية أمامه. كما يرى المؤلف أن رد الفعل لهذه السلوكيات المستخدمة ضد الطفل قد تظهر أثرها في مرحلة الطفولة المتأخرة وبداية مرحلة المراهقة، وقد يتمثل رد الفعل في تعاطي المخدرات وألعاب القمار والبلطجة والعلاقات الجنسية غير المشروعة.

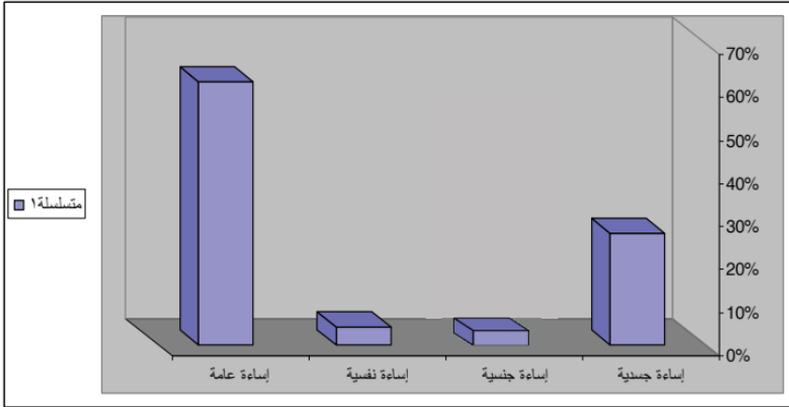
ويتفق معظم الباحثين على أن الغالبية العظمى من أطفال الإساءة يعانون من عجز في الانتباه مع ضعف القدرة على السيطرة على دافعاتهم، حيث إنهم يتصرفون في الغالب طبقاً لمشاعرهم العدوانية، بمعنى أن مشاعرهم العدوانية عادة ما تحرك سلوكهم أكثر ما تحرك فيهم الرغبة في التعبير اللفظي عن هذه المشاعر.

وقد درس شتاينبرج Steinberg ولامبورن Lamborn ودارلنج Darling وموانتس Mounts ودورنبج Dornbusch (1994) النمو لدى الأطفال الذين تتراوح أعمارهم بين 14 - 18 سنة والذين ينتمون إلى أسر تستخدم أساليب والدية حازمة، وتسلطية، ومتساهلة ومهملة، على مدى عام كامل، وقد ظهرت الاختلافات والمشكلات لدى المراهقين الذين تربوا في منازل يتجاهل فيها الوالدين حاجات أبنائهم بوجه خاص. وقد حدثت أبرز تأثيرات التربية الوالدية المضطربة أثناء الدراسة الثانوية، فقد أظهر هؤلاء المراهقون مشكلات سلوكية ونفسية، وقد أظهروا على مدى عام كامل تدهوراً مستمراً في الأداء، مع أشكال من الإخفاقات في العمل والاتجاه نحو المدرسة، وزيادة في الجناح وشرب الخمر وتعاطي المخدرات (ديفيد أ. وولف، 2005، 59 - 60).

ويستمر السلوك العدواني، وضبط النفس المنخفض، والعلاقات الاجتماعية المضطربة عبر مراحل النمو لدى الأطفال الذين تعرضوا للإساءة، فيصبح هؤلاء الأطفال أكثر عدواناً وبدرجة جوهرية تجاه أقرانهم. وتعرف العلاقة بين تعرض الفرد للإساءة كطفل وممارسة الإساءة تجاه الآخرين كراشد بفرض «دورة العنف» Cycle of violence hypothesis ويعني أن ضحايا العنف يصبحون من ممارسي العنف، وعندما يصلون إلى مرحلة الرشد يمكن أن تؤدي هذه الاختلالات النهائية الناتجة عن الإساءة للطفل إلى اضطرابات أكثر عمومية وإزماناً، وبوجه خاص اضطرابات المزاج، والسلوك المعادي للمجتمع. وقد أكدت الدراسات أن حوالي 30% من ضحايا الإساءة للأطفال يحملون هذا النمط معهم إلى المراهقة والرشد ويميلون إلى النزوع إلى استخدام القوة والسيطرة كوسائل لحل الصراعات.

وعن معدل انتشار إساءة معاملة الطفل في المجتمع المصري أجريت دراسة في الفترة من فبراير 2003 إلى فبراير 2004 على عينة مكونة من 322 مريضاً ممن يترددون على العيادة النفسية بمستشفى الحسين الجامعي، وذلك من خلال المقابلة الإكلينيكية شبه المقننة حسب المواصفات التشخيصية للدليل الدولي العاشر ICD-10 واستخدام استبيان سوء معاملة الطفل لديفيد برنشتين David Bernstein (1995)، وقد أظهرت نتائج الدراسة أن (75.7%) من العينة قد تعرضوا للإساءة المعاملة، وكانت الإساءات المتعددة هي الأكثر شيوعاً بين أفراد العينة الإيجابية (61%) يليها إساءة المعاملة الجسدية (26%) ثم إساءة المعاملة الجنسية (9%) وأخيراً إساءة المعاملة النفسية (4%). وكانت درجات الإساءة الجسدية المتوسطة والإساءة الجنسية والنفسية البسيطة هم الأكثر انتشاراً بين أفراد العينة

الإيجابية على المقياس. ويبين الشكل التالي النسب المئوية لأنواع الإساءة من خلال عينة البحث:



شكل (2)

رسم توضيحي للنسب المئوية لأنواع الإساءة

7. شخصية الضحية وسماته

ثمة علاقة بين الأنا والآخر على أنحاء شتى، فالآخر هو شرط أساسي لوجود الأنا، والمقصود بشخصية الضحية مثل المظهر (الملابس)، وحجم الجسم (الطول والوزن)، كما أن عمر الضحية من الأسباب الهامة إذ أن الضحية الصغير في السن لا يستطيع أن يدافع عن نفسه.

علاوة على أن الضحية غالباً ما يميل إلى الوحدة وليس له أصدقاء، ولا يستطيع أن يكون حازماً في معاملاته مع الآخرين، ويكون لديه نقص في المهارات الاجتماعية، وتدني في تقدير الذات، وقد يكون شكل الضحية جذاباً، أو يتميز ببعض صفات أنثوية فيكون عاملاً مشجعاً للبلطجة عليه

جنسياً (Edwy, 2012). وهو ما يعرف بالتمط السلبي للسلوك، حيث يسمح الأشخاص لرغبات واحتياجات ومتطلبات الآخرين أن تطغى على حقوقهم واحتياجاتهم. وعموماً الضحايا هم الذين يعززون سلوك البلطجة بعدم قدرتهم على الدفاع عن أنفسهم، أو إذعانهم لطلبات البلطجي بسهولة، ولذلك نجد أن غالبية الضحايا سلبين وخاضعين.

8. تعاطي المخدرات

انتشرت ظاهرة تعاطي المخدرات بين المراهقين بشكل كبير، ومن أخطر المواد التي يتم تناولها بين المراهقين كانت عقاقير الهلوسة Hallucinogens، وهي تختلف عن غيرها من حيث تأثيرها على مستوى الوعي مؤدية إلى التغيير من الإحساس بالأشياء وإدراك العالم. ومن أهمها: الكوكايين، والمسكالين Mescaline، وسيلوسين Psilocyn، وكيثامين Ketamine والـLSD وهذا الأخير هو الأكثر انتشاراً، ومن أقوى المهلوسات المعروفة، ويتم امتصاصه بسرعة كبيرة وينتشر إلى جميع أنسجة الجسم بما في ذلك المخ. هذا العقار له آثار إدراكية مباشرة كالتغيرات البصرية والسمعية، وبعضها نفسي كالتغير في الحالة المزاجية (مصطفى سوييف، 1996، 126). والباركينول Parkinol، وهذا العقار يسمى «صراصير»؛ لأن تعاطيه يؤدي إلى هلاوس بصرية. ويصل تأثير هذه العقاقير على الوعي لدرجة فقدان الشخص لنفسه وهويته فقداً كاملاً (عبد الستار إبراهيم، 1985، 104).

وقد لاحظ المؤلف استخدام الكثير منهم لعقار الكلونازيبام Colaunazepam، والإسم التجاري له أبتريل apetryl وهو عقار يستخدم لعلاج الصرع بوجه عام، وإدمانه منتشر بين المجرمين والبلطجية على وجه

الخصوص، حيث يقوم بعمل حالة من الهياج لدى متعاطيه تجعله يقدم على أي فعل إجرامي دون تردد، وهو في حالة من فقدان المؤقت للذاكرة قد تستمر ليومين، كما أنه لا يستشعر بأي آلام إذا تعرض للضرب أو الجرح، وبعد أن يفيق من أثر العقار لا يتذكر أي شيء مما قام بفعله.

هذه العقاقير تحدث اضطراباً في سلوكيات الشخص وأفكاره وإحساسه بالزمان والمكان وتقديره لهما، ولا يمكن على الإطلاق التنبؤ بما يمكن أن يفعله من سلوكيات، كما أنها تتسبب في وجود هلاوس بصرية وسمعية، واضطراب في استقبال الأشياء بحجمها الطبيعي، فيرى الكلب الصغير يتخيله أسداً، ويسمع همساً فيعتقد أنه صراخ، وإذا تحرك شخص خطوة نحوه يظن أنه يهيم بقتله فيبادر بأذيته.

إن تعاطي الكحوليات والمواد المخدرة لها دور أساسي لدى البلطجي، وذلك لأن هذه المواد تؤثر بطرق مختلفة على متعاطيها، كما أن سوء استخدام المخدرات سواء داخل الأسرة أو في محيطها الخارجي يساهم بشكل فعال في ظهور بدايات السلوك العنيف الذي يتسم به الفرد في المستقبل، حيث هناك درجة عالية من الكراهية للبيئة المحيطة والمحبطة، وفي الوقت ذاته قد تكون هناك درجة من درجات كراهية الذات.

العلاقة إذاً وثيقة ومتداخلة بين كل من اضطراب الشخصية وخاصة النمط المضاد للمجتمع والذي يتسم بالعنف والعدوان، واستخدام المواد المخدرة، وقد يرجع ذلك إلى ما يعانيه هؤلاء الأفراد من اضطراب في التفاعل، والذي كانت بداياته منذ الطفولة الأولى نتيجة لأساليب وظروف تربوية غير سوية.

البلطجة والمخدرات إذًا بينهما علاقة متداخلة ولا يمكن النظر إليها على أنها علاقة سببية حيث إن كلا المتغيرين يرتبط بالأخر، يؤثر فيه ويتأثر به في ذات الوقت، ولا شك أن علاج أحدهما قد يساهم بشكل كبير في تحسن الآخر، فالسلوك العنيف لدى المدمن قد يكون ناتج عن تعاطيه لبعض المواد التي تفقده القدرة على التحكم في السلوك من خلال تأثيرها على المراكز العصبية المسؤولة عن تلك العمليات، وبمجرد العلاج والاستمرار في التعافي يمكن أن نتنبأ بتحسن تلك السلوكات.

9. المستوى الاجتماعي الاقتصادي

الخلفية الاجتماعية والاقتصادية للأسرة أيضًا لها تأثير على سلوك البلطجة، فالطالب البلطجي قد يهاجم ضحيته من زملائه بهدف الحصول على مصروفه الشخصي، أو أدواته المدرسية، أو حتى وجبة طعامه. فهناك علاقة بين الفقر والانحراف، فالطفل الجائع من المحتمل أن يتحول إلى لص للحصول على أبسط حقوقه في الحياة.

فالأزمات الاقتصادية والبطالة والفقر تعتبر سببًا رئيسيًا في انتشار جرائم القتل والعنف والاصابة بعاهات مستديمة.. فقد أصبحت البلطجة هي الوسيلة الوحيدة للتعبير عن الكبت وضغوط الحياة اليومية، فانتشرت البلطجة وأصبحت ظاهرة تطارد الناس في كل مكان، وقد حذرت دراسة لمركز حوار للتنمية وحقوق الانسان من ارتفاع معدل جرائم الفقر والجوع، وأكدت على ارتفاع معدلات الجريمة خلال العام 2008 وحتى بداية العام 2009 خاصة التي ارتكبت بدافع الفقر، كما بينت دراسة بالمركز القومي

للبحوث الاجتماعية والجنائية ارتفاع أعداد المسجلين خطر في فئة الشباب الذين تتراوح أعمارهم من 18 إلى 30 عامًا.

ويعتقد المؤلف أن عدم احترام السلطة في المجتمع خاصة سلطة البيت والمدرسة، وتخبط المجتمع حول طرق التربية، وتخبطه في توجهاته الاقتصادية، وعدم التخطيط القومي الواضح، وغياب الهدف القومي الذي يمتص طاقات الشباب، ونقص ممارسة الديمقراطية الحقيقية، وزيادة القهر في المجتمع، وانهار القيم الأخلاقية السائدة واهتزاز القدوة على المستوى الاجتماعي، والبطالة والإحباط الذي يعيشه الشباب، ونقص الاهتمام بالرياضة البدنية كوسيلة لإفراغ طاقاتهم، كل ذلك وغيره كثير من العوامل الاجتماعية التي تساعد على انتشار سلوكيات البلطجة.

10. وسائل الإعلام

نتيجة للتقدم العلمي والتكنولوجي السريع الذي اجتاح العالم، شهدت السنوات الأخيرة من القرن العشرين ظهور القنوات الفضائية وانتشارها على نطاق واسع، ما أدى إلى تحول العالم إلى قرية كونية صغيرة تربطها شبكة اتصالات واحدة عبر الأقمار الصناعية، كما تنامت قوة الإعلام الفضائي وزادت المنافسة بين القنوات الفضائية على استقطاب مشاهديها وذلك من خلال ما تبثه إلى المشاهدين باختلاف مراحلهم العمرية، وتأثيرها على الأطفال والمراهقين نتيجة لاستعدادهم النفسي والتغيرات البيولوجية الموافقة لهذه الشريحة العمرية.

وإذا كان البث المرئي الفضائي يلعب دورًا إيجابيًا في تشكيل شخصية الطفل والمراهق، من خلال البرامج التربوية والإرشادية، فإنه أيضًا يعمل

على تغيير شخصيتهم من خلال البرامج التي لا تتفق مع ثقافة وتوجهات الأسر العربية، مما جعلهم يمرون بمرحلة اغتراب في عصر تتزاحم فيه هذه البرامج من مصادر مختلفة لها ثقافات مختلفة.

وتلعب وسائل الإعلام وخاصة التلفزيون في انتشار السلوك العدواني والعنف والبلطجة، فهناك علاقة بين السبب والنتيجة، بين التعرض للعنف والعدوان من خلال شاشات التلفزيون، وتطبيق ذلك العنف في الواقع كنوع من التوحد (Desouza & ribeiros, 2005). فقد أصبح من الطبيعي أن نشاهد في وسائل الإعلام المختلفة مشاهد عنف صارخة، سواء في نشرات الأخبار أو فيما تبثه القنوات الفضائية من أعمال درامية وحتى ألعاب الأطفال من أفلام الكارتون "والبلاي استيشن" أصبحت تنطوي على أشكال متعددة من العنف.

وقد أكدت الدراسات على ارتفاع نسبة مشاهدة أفلام العنف، حيث بلغت نسبتها 72% ووجد أن الذكور أكثر من الإناث مشاهدة لتلك الأفلام، كما بينت الدراسة أن تقليد الشباب للبطل في هذه الأفلام وصلت إلى 97%، وأنه كلما قل المستوى الاجتماعي الاقتصادي والتعليمي زاد التقليد للبطل. كما بينت الدراسة أن الأفراد يشاهدون تلك الأفلام لتحقيق إشباع نفسي لا يستطيعون تحقيقها في الواقع (على عاشور، 2008). كما بينت دراسة محمد عبد البديع (1998) وجود علاقة ارتباطية سلبية بين متابعة القنوات التلفزية الوافدة وبين التغيرات التي طرأت على الأسرة، كما وجدت علاقة بين مشاهدة تلك القنوات وارتفاع معدل العنف والجريمة في الأسرة المصرية.

لقد بدأ ظهور البلطجة على شاشات السينما والتلفزيون عام 1960، حيث أُنتج فيلمان كان للبلطجي دور بارز في سياق أحداثهما، أولهما ملاك وشیطان، والآخر بداية ونهاية، ثم مرّت فترة الستينيات والسبعينيات بدون بلطجية يذكرون على شاشة السينما، فقد كان عصرًا لأفلام البناء بعد الثورة، ثم أفلام النكسة، ثم أفلام الحرب، حتى أتت الثمانينيات بانفتاحها وخارطتها الجديدة للمستقبل والتنمية، ويسجل عام 1981 العرض الأول لفيلم المشبوه، والبلطجي في الفيلم لم يحمل السيوف والسلاسل ولم يرب أسدًا، كان يحمل مطواة، ثم توالى الأفلام التي تجسد شخصية البلطجي منذ التسعينيات فكان فيلم الأمبراطور، إلى أن طالعنا شاشات السينما ومن بعدها التلفزيون بمجموعة أفلام مثل إبراهيم الأبيض، وتيتو، والألماني، وعبد مودة، يسرق فيها البلطجي ويطعن ويحرق ويقتل ويتاجر بالأسلحة والمخدرات، فما كان من الشباب إلا التقليد. وقد رأى المؤلف إعجاب كثير من الشباب ببعض الشخصيات التي ظهرت في أفلام تليفزيونية تحكي قصص حياة بعض البلطجية مثل فيلم يحكي قصة بلطجي ويحمل اسم «تيتو» قام بعض أصحاب المحلات بوضع هذا الاسم على محلاتهم، وكأنه بطل قومي!

11. التراخي الأمني

إن بعض رجال الأمن أنفسهم كانوا سببًا رئيسًا في انتشار سلوكات البلطجة، وذلك عن طريق تدعيم ذلك. فقد انتشر بين رجال الأمن في السنوات الأخيرة ظاهرة شاذة وهي استعانتهم بكثير من البلطجية في أعمال أمنية مما رسخ في ذهن البلطجي أنه على صواب، بل أن البعض منهم كان يعمل

مرشدًا لدى أجهزة الأمن، بالإضافة إلى استعانة قيادات الأمن بالبلطجية في الانتخابات للتضييق على الجماهير وإهانتهم.

وما أن بدأت ثورة 25 يناير وظهر هذا السلاح الخفي بغزارة، عمت الفوضى الشارع المصري وخاصة في الأحياء الشعبية التي انتشرت فيها سلوكات البلطجة انتشارًا واسعًا، والتي أدت إلى وقوع حوادث قتل وإصابات خطيرة، وسطو مسلح على المارة.

لقد وصلت البلطجة إلى حدودها القصوى ولم تعد ظاهرة، فقد جاء في برنامج «الحياة اليوم» استغاثة مدير مستشفى المطرية التعليمي بوزير الداخلية لإنقاذ المستشفى من البلطجية بعد أن قام عدد منهم بقتل مصاب داخل المستشفى وهو يُعالج من قبل الأطباء. وقد تسببت ظاهرة هجوم البلطجية على المستشفيات في إغلاق قسم الاستقبال والطوارئ بمستشفى المطرية التعليمي، وجميع وحدات مستشفى الاستقبال والطوارئ بقصر العيني لحين توفير الحماية الأمنية الكافية للمرضى والعاملين بالمستشفى. يقول «معتز أبو العزم» مدير مستشفى الاستقبال بالقصر العيني: إنه في اليوم الأول لشهر إبريل حدثت مشاجرة بين عائلتين بالأسلحة النارية وجاءوا ببعض المصابين إلى «القصر» لتلقي العلاج، إلا أنهم اقتحموا غرف الطوارئ وأكملوا المعركة داخل الاستقبال بالسيوف والسنج.

إن ظاهرة البلطجة في مصر ليست مرتبطة بحالة الانفلات الأمني التي أعقبت ثورة يناير، فهي ظاهرة وجدت من قبل في المجتمع المصري وإن مرت بتحويلات وتطورات كثيرة، ربما كان أكثرها وضوحاً ما ارتبط بالفترة التالية على الثورة. وقد بينت دراسة فادية أبو شهبه (2010) أن نحو 50 %

من البلطجية تتراوح أعمارهم بين 18 و 30 عامًا، وهو ما يعني أنها ظاهرة تجذب من هم في مرحلة المراهقة والشباب، كما بينت الدراسة أن ثلثي البلطجية من الأميين الذين لا يعرفون القراءة والكتابة، أي أن هناك علاقة عكسية بين درجة التعليم والميل للقيام بأعمال البلطجة، وانتهت الدراسة إلى أن النشاط الإجرامي الأساسي للعينة التي تمت دراستها هو السرقة بالإكراه بنسبة 81 % ثم الإتجار في المخدرات بنسبة 72 % (أحمد محمد أبو زيد، 2012، 29).

ويؤخذ على هذه الدراسة أن العينة كانت من فئة المسجلين خطر، وهم من طائفة من المجرمين تتألف منهم غالبية البلطجية في مصر، ولكنها لم تركز بالأساس على فئة البلطجية، حيث إن كل المسجلين خطر هم بلطجية، بينما ليس كل البلطجية مسجلين خطر.

محكات سلوكيات البلطجة

البلطجة هي عنف موجه ضد الآخرين والممتلكات، يتميز بالاستمرار والتكرارية، وقد لاحظ المؤلف وجود ترادف بين سلوكيات البلطجة من واقع التعريفات المختلفة وبين أعراض اضطراب المسلك أو التصرف Conduct disorder والذي يرى جمعة يوسف (2000، 253) أن اضطراب المسلك لا يرادف الاضطرابات السلوكية تماماً، وإنما هو جزء منها، وأن هذا الاضطراب يمكن أن ينضم إلى مجموعة أخرى من الاضطرابات التي تماثلها من حيث الأعراض مثل اضطراب الشخصية المعادية للمجتمع Antisocial personality disorder ويرى المؤلف أن مشكلة البلطجة لا ترادف الشخصية المعادية للمجتمع وإنما هي جزء منها وتماثلها في الأعراض.

وقد وردت اضطرابات التصرف في المراجعة العاشرة للتصنيف الدولي للأمراض ICD-10 في المحور F91 وبين الدليل أنها تتميز بنمط متكرر ومستمر من التصرف المستهين بالمجتمع أو العدواني. وقد يصل هذا السلوك في أشد حالاته بالنسبة للفرد إلى حد الانتهاكات الشديدة لما هو مناسب لعمر الطفل أو المراهق والمنتظر منه اجتماعياً، وبالتالي فهو أشد من شقاوة الطفولة العادية أو تمرد المراهقة. أما الأفعال المتفرقة المستهينة بالمجتمع أو الإجرامية فليست في حد ذاتها مبرراً للتشخيص الذي يستدعي نمطاً من السلوك أكثر استمرارية. وقد تتطور اضطرابات التصرف في بعض الحالات إلى اضطرابات الشخصية المستهينة بالمجتمع (ICD-10, 2000: 280).

ويرى البعض أن محكي التكرار والشدة هما أهم محكين لاعتبار فعلاً

عدوانياً أو مضطرباً، فإذا كانت مشاجرة واحدة في السنة ليست مشكلة، فإن مشاجرة في كل أسبوع تعتبر مشكلة حقيقية. ومن ثم فإن أشكال السلوك غير القابل للتحكم تقيّم من قبل المدرسين والآباء والزملاء على أنها غير مقبولة، وفي كثير من الأحيان يتم الحكم على المراهقين بأنهم يعانون من مشكلات تصرف من خلال السلطات القانونية.

ومن أمثلة السلوكات التي يستند إليها التشخيص: الإفراط في الشجار أو البلطجة، القسوة على أفراد آخرين أو على الحيوانات، تدمير الممتلكات، إشعال الحرائق، السرقة، الكذب المتكرر، الهروب من المدرسة ومن المنزل، سلوك تحدي استفزازي وعصيان شديد ومستمر. وأي من هذه المعايير إذا كان شديداً يكفي للتشخيص، ولكن الأفعال المستهينة بالمجتمع المنفردة تكفي وحدها (ICD-10, 2000: 281).

وقد عرف الدليل التشخيصي والإحصائي الرابع الصادر عن الجمعية الأمريكية للطب النفسي DSM-IV الاضطراب بأنه نموذج من السلوك تكراري ومستمر، تنتهك فيه حقوق الآخرين الأساسية أو القواعد الاجتماعية الأساسية المناسبة لسنّ الشخص أو القوانين، كما يتبدى ذلك بوجود ثلاثة (أو أكثر) من المعايير التالية في الـ 12 شهراً الماضية، مع وجود معيار على الأقل في الأشهر الستة الماضية:

العدوان على الناس والحيوانات

1. عادة بلطجي على الآخرين أو يهددهم ويخيفهم.
2. عادة ما يبدأ عراكات جسدية physical fights.

3. استخدام سلاحًا يمكن أن يلحق أذى جسدي خطير للآخرين، مثل: عصا، زجاجة مكسورة، سكين، مسدس، إلخ.
4. القسوة جسدياً نحو الآخرين.
5. القسوة نحو الحيوانات.
6. السرقة في مواجهة الضحية (مثل السطو المسلح على المنازل، وتثبيت المارة في الطريق العام وسرقة ما معه، كما شاهدنا ذلك في غياب الشرطة بعد ثورة 25 يناير، حيث وصل الأمر إلى غلق شارع بأكمله لسرقة المارة تحت تهديد السنج والسيوف).
7. إجبار شخص بالقوة على ممارسة الجنس: وهو ما حدث في مدرسة مصر الجديدة الإعدادية للبنين، حيث استدرج ثلاثة تلاميذ بالصف الثالث الإعدادي تلميذاً بالصف الأول الإعدادي إلى بدروم أسفل المدرسة، وتناوبوا اغتصابه بالإكراه، وقد حرر بالواقعة المحضر رقم 17421 جنح مصر الجديدة.

تدمير الملكية

1. إشعال النار عمداً بقصد إلحاق الأذى (لاحظ إشعال النار في أضرحة المساجد، وما حدث في كنيسة إمبابة).
2. تدمير ملكية الآخرين عمداً (بوسيلة غير إشعال النار).

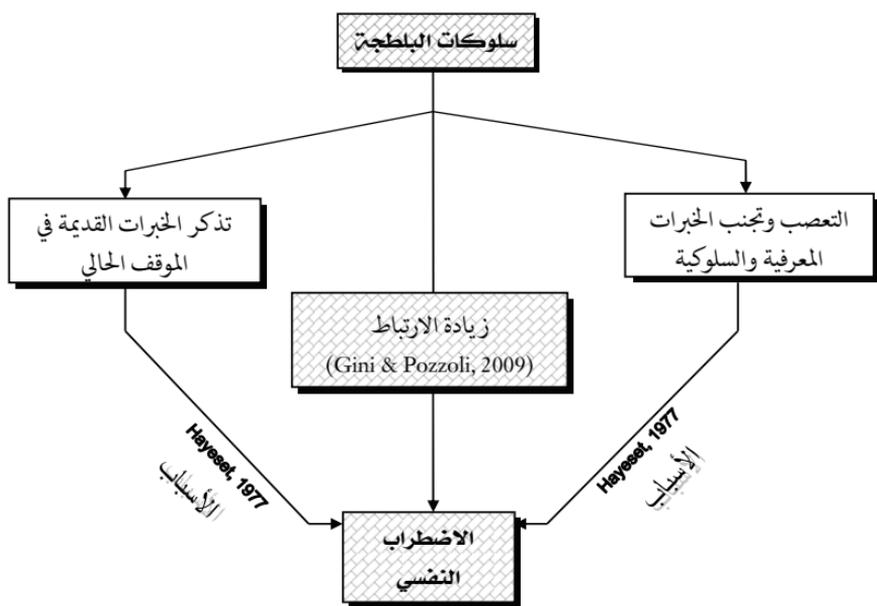
الخداع أو السرقة

1. تسلل إلى منزل أو مبنى أو سيارة شخص آخر.

2. غالباً ما يكذب للحصول على امتيازات.
3. سرقة أشياء ذات قيمة بدون مواجهة الضحية.

انتهاكات خطيرة للقواعد

1. غالباً ما يمكث خارج المنزل ليلاً رغم منع الوالدين.
 2. هرب من المنزل طوال الليل مرتين على الأقل وهو يعيش في كنف والديه (DSM-IV, 1994: 66-67).
- ويندرج تحت اضطراب المسلك أو التصرف اضطراب التصرف غير المتوافق اجتماعياً *Unsocialized conduct disorder* حيث السلوكات النموذجية تتضمن البلطجة وكثرة الشجار والابتزاز المالي والاعتداء العنيف، بالإضافة إلى درجات مفرطة من العصيان وعدم التعاون ومقاومة السلطة، ونوبات المزاج العصبي الشديد والغضب غير المسيطر عليه. وعادة ما ينتشر الاضطراب عبر عديد من المواقف، ولكن قد يكون أكثر وضوحاً في المدرسة (ICD-10, 2000: 283). والشكل التالي يوضح العلاقة بين سلوكات البلطجة والاضطراب النفسي.



شكل (3)

العلاقة بين سلوكات البلطجة والاضطراب النفسي

فالبلطجة سلوك مشكل Problematic behavior يمثل خروجاً على النظام والقانون، ومع تزامن السلوك وتكراره يصبح عرض من أعراض اضطراب المسلك الذي يصبح في نهاية المطاف اضطراب الشخصية المستهينة بالمجتمع، وبحسب المدرسة السلوكية فإن العرض هو المرض، وبالتالي فإن البلطجة في حالة تكرارها وتزامنها تتحول إلى اضطراب المسلك أو التصرف، ثم تتحول إلى اضطراب الشخصية المضادة للمجتمع أو ما يعرف بالسيكوباتية.

الفصل الخامس

النماذج المضرة لسلوكات للبلطجة

يرى البعض أن البلطجة متأصلة Inherent في السلوك البشري، مما أدى إلى وجود استراتيجيات اجتماعية للبقاء عبر تاريخ البشرية منذ وقت مبكر. وتشير النظريات إلى أن العدوانية والتنافس والهيمنة Dominating سلوكات ساعدت منذ وقت مبكر على وجود مهاجمي النظام، وهذه الصفات ظلت كما هي في الإنسان الحديث (Rigby, 2002). وتفهم البلطجة الآن على أنها ظاهرة اجتماعية بيئية Socio-ecological (Boyd & Barwick, 2011) ولذلك فإن سلوكات البلطجة لا تفهم ببساطة على أنها من سمات الشخصية، ولكن يدخل في الاعتبار عوامل أخرى مثل الأسرة والمدرسة والأقران والمجتمع.

ولقد تعددت المناهج والنظريات التي تناولت مشكلة البلطجة، فهناك المحللون النفسيون ويمثلهم «فرويد» Freud وهم يعتقدون أن الكثير من عدوانية الإنسان ذو منشأ فطري. وهناك آخرون يعتقدون أنه سلوك يكتسب في مرحلة الطفولة، مثل دولارد Dollard وميلر Miller وباندورا وغيرهم، كما توجد نظرية العالم الإيطالي لومبروزو Lombroso (1836 - 1909) الذي وضع أسس لدراسة سلوك المجرمين للوصول إلى اعتقادات تثبت أن المجرم ولد ليكون كذلك.

وكل هؤلاء المنظرين يواجهون مشكلات أساسية، وهي البحث في القوى التي تحرض الفرد، والعوامل التي تعمل لكبت بعض الأنماط السلوكية، وفي البواعث التي تثير السلوك العدواني أو تعيقه. وتجدر الإشارة أن مصطلح البلطجة لم يكن موجوداً لدى علماء النفس القدامى، وإنما أجريت البحوث والدراسات على العنف والعدوان، وإذا كان العنف هو الترجمة الفعلية للعدوان السلبي فإن البلطجة هي الصورة الشاذة والمقصودة والمتكررة من هذا العنف، أي أن المصطلحات تجري في إطار سيكولوجي واحد.

النظرية اللومبروزية

شيزاري لومبروزو هو صاحب نظرية الرجل المجرم والتي أطلق عليها فيما بعد نظرية المجرم بالميلاد، تمثل هذه النظرية حجر الزاوية لكافة المذاهب البيولوجية والتكوينية التي جاءت من بعده لتفسير السلوك الإجرامي. لقد أجرى لومبروزو بحثاً على نحو (383) جمجمة من مرتكبي جرائم العنف المتوفين، واكتشف وجود تجويف في مؤخرة الدماغ، كما استرعى انتباهه شذوذ في تكوين الأسنان وشكل الجبهة وحجم الجمجمة يشبه الحال الذي كان عليه الإنسان البدائي، ثم تأكدت وجهة نظره بعد تطبيقه مقاييس أنثروبولوجية وبالفحص العضوي لعدد (5907) من المجرمين الأحياء.

وتقوم نظرية لومبروزو على أساس أن هناك أشخاصاً يتميزون بخصائص جسدية وملامح عضوية خاصة، وسهات نفسية معينة، وينقادون إلى الجريمة بتأثير العوامل الوراثية، وبحكم تكوينهم البيولوجي (علاء إسماعيل وأحمد المرابي، 2016، 43).

تعرضت أفكار لومبروزو لنقد شديد مما دفعه إلى تطوير نظريته فقام باستبعاد المجرم بالميلاد ليعتمد تصنيف يضم الفئات الآتية:

□ **المجرم المجنون:** وهو شخص يرتكب الجريمة تحت تأثير المرض العقلي، وقد أدخل لومبروزو في هذه الطائفة المجرم المهستيرى ومدمن الخمر والمخدرات، ويرى أنه يجب إيداعه في مصحة عقلية حتى يتم شفائه.

□ **المجرم الصرعي:** وهو من يرتكب الجريمة تحت تأثير الصرع، وقد تتطور حالة المريض بالصرع فتؤثر على حالته العقلية.

□ **المجرم السيكوباتي:** والسيكوباتية هي عدم القدرة على التألف مع المجتمع، وهو شخص يتميز بالقسوة والميل إلى الانحراف وفقدان الحس الخلقى.

□ **المجرم العاطفي:** يرتكب الجريمة بسبب عوامل عاطفية مثل الحماسة والغيرة والدفاع عن الشرف، وهو مجرم يتصف بحدة المزاج والحساسية المفرطة وسرعة الانفعال، وتكون جرائمه من نوع الجرائم السياسية، والاعتداء على الأشخاص.

□ **المجرم المعتاد:** يندفع للجريمة تحت تأثير ظروف بيئية واجتماعية كإدمان الخمر والبطالة والفقر، واختلاطه منذ الصغر بالبلطجية والمجرمين.

□ **المجرم بالمصادفة:** شخص لا يتوفر فيه الاستعداد للجريمة، وما يرتكبه من جرائم يكون تحت ضغط مؤثرات خارجية طارئة مثل

حب التقليد والظهور، الحاجة الملحة، تعاطي المخدرات أو عقاقير الهلوسة.

وعلى الرغم من النقد الشديد الذي وجه إلى نظرية لومبروزو إلا أنه لم يقصر اهتمامه على الصفات العضوية فقط وإنما تعداها إلى الصفات النفسية والعوامل الاجتماعية، ومع ذلك فقد بالغ في إظهار دور الصفات الخلقية والعيوب الجسدية واعتبارها الدافع إلى الإجرام.

نظرية التحليل النفسي

إستغرق اهتمام «فرويد» Freud (1856 - 1939) التعرف على الأسس الأولية للسلوك الإنساني، تلك الأسس الفطرية التي تسبق كل تعلم، يولد بها الإنسان وتنطوي عليها نفسه فتدفعه إلى كثير مما يصدر عنه من ألوان المشاعر وأشكال التفكير ومظاهر العمل والسلوك.

وقد بدأ فرويد بوضع نظرية سيكولوجية في الغرائز أساسها مكتشفات التحليل النفسي، والغاية منها توضيح مغزى هذه المكتشفات من حيث الدوافع والميول العامة، ثم انتهى إلى تصنيف الغرائز فأدرج دوافع حفظ الذات ودوافع حفظ الجنس تحت غريزة الحياة أو الإيروس Eros ووضع في مقابلها ما أسماه غريزة التدمير أو الموت «ثاناتوس» Thanatos (سامي على، وعبد السلام القفاش (في) فرويد، ب.ت، 88).

وحسب نظرية التحليل النفسي فإن البلطجي هو شخص جانح، وأن هذا الشخص لا يعاني من سلوكه المقلق بقدر ما يعاني منه المحيطين به، ولهذا لم يكن لديه دافع لتغيير نمط سلوكه، بل إنه يشعر بغاية الرضى؛ لأنه

ينفس عن نوازع العدوان. هذا العدوان هو غريزة فطرية تدفع الإنسان إلى الاعتداء والمقاتلة، أي أن البلطجة هي تصريح للطاقة العدائية التي تنشأ داخل الفرد عن غريزة العدوان وتلح في طلب الإشباع.

هذه الطاقة التدميرية يجب السماح لها ببعض الانطلاق والتحرر، فقد ينتج عن كبح العدوان بصورة تعسفية أن يظهر هذا العدوان بين الحين والآخر وبأي أسلوب سواء كان ذلك العدوان مباشراً أو غير مباشر، فإذا انطلقت تلك الطاقة في صورتها القوية ينتج عن ذلك تدمير مباشر للممتلكات والآخرين.

وإذا كان المجتمع المتمثل بداية في صورة الوالدين يمثل قوة كبح لاحتياجات الفرد ويهدد بمنع الحب والاهتمام إذا لم يقاتل تلك الرغبات، عندئذ ترفض الرغبات وتعتبر خطيئة وليست أخلاقية على المستوى الشعوري. هذه الرغبات متصلة بالغرائز الأصلية وهذا يعني أنها لن تختفي بواسطة كبتها أو إنكارها شعورياً، وإذا ما زاد مستوى الإحباط والكبت فإنها سوف تنفجر وينتج عن ذلك سلوكاً مضاداً للمجتمع.

إن «فرويد» يرى أن دوافع السلوك تنبع من طاقة بيولوجية عامة تنقسم إلى نزعات بنائية وأخرى هدامة (دوافع الحياة ودوافع الموت)، وتعتبر دوافع الموت عن نفسها في صورة دوافع عدوانية موجهة نحو الذات ونحو الآخرين، أما العدوان الموجه نحو الذات فقد تبدو صورته لدى البلطجي في تعاطيه للمخدرات، حتى أن بعضهم يتعاطى العديد من المواد المخدرة التي تؤدي بحياته، علاوة على أن الشخص البلطجي عندما يثار ولا يستطيع أن ينفث عدوانه خارجاً فإنه يلجأ إلى تمزيق جسده بأدوات حادة، وهو ما

رآه المؤلف رأي العين. بينما العدوان الموجه نحو الآخرين يبدو في الاعتداء عليهم بالقول والفعل، والاعتداء على الممتلكات والتخريب.

ومقر دوافع الموت اللاشعور ويمثلها الهو ID ثم يأتي دور الأنا Ego الضعيفة غير الناضجة التي تتخاذل أمام تعارض تلك القوى، فتقع تحت سيطرة الهو وتخضع لضغوطه، وعندئذ يسود مبدأ اللذة ويهمل مبدأ الواقع، فيلجأ الفرد في هذه الحالة إلى تحطيم العوائق والقيود ويصبح السلوك منحرفاً ويأخذ أشكالاً عدوانية.

فالبلطجة قد تكون من سمات بعض العاديين -أيضاً- الذين لا يعانون اضطرابات نفسية، وليس معنى ذلك أن هذه الحالات لا ترتبط بها أي صراعات لا شعورية، فاللاشعور يتدخل في كل فعل تقريباً، ولذلك فإن البلطجة ترجع إلى عملية تقمص خاطئ، وهذا البلطجي يتوحد مع موضوعات خاطئة، وقد يحدد المجتمع للفرد أشخاصاً ليتوحد معهم ويكونون هم أنفسهم منحرفين.

ثم كان الفرويدون الجدد Neo Freudian من أمثال أدلر Adler ويونج jung وفروم Fromm وهورني Horney فاهتم هؤلاء المحللون بأهمية القلق النفسي والصراع كأساس جوهرية في الاضطراب. فاهتم فروم وسوليفان وهورني بأهمية العوامل الاجتماعية والثقافية والعلاقات المتبادلة بين الفرد والمجتمع.

وقد صنفت «هورني» التفاعل بين الناس ثلاثة تصنيفات من أجل بلوغ الأمن والأمان، فكان من هذه التصنيفات «المنط العدائي»، حيث يتصف أصحاب هذا الاتجاه بالرغبة في الهيمنة، والعداء والاستغلال للآخرين، ويحيا هذا النمط من الناس وفق اعتقاد واهم يقول: إذا امتلكت القوة فلن يستطيع أحد أن يضرني (إبراهيم عيد، 2005، 131).

وترى هورني Horney أن العدوان دافع مكتسب، ويعد وسيلة يحاول بها الإنسان حماية أمنه، فالقلق الذي يعاني منه الفرد نتيجة خبرات الطفولة المؤلمة المتمثلة في اللامبالاة والخلافات العائلية والإسراف في القسوة أو التدلل الزائد أو الحماية الزائدة قد يثير الفرد للكفاح والتغلب على مشاعر عدم الأمن والعجز، مندفعاً في ذلك إلى إتباع سلوكات منحرفة وغير سوية من أجل تحقيق ذاته. فهذا الطفل الذي لم يستطع الحصول على الحب قد يعمل على تحقيق القوة والسيطرة على الآخرين، حتى يعوض إحساسه بالعجز ويجد منفذاً للعدوان.

وبحسب «فروم» فإن الإنسان يلجأ إلى عدد من الاستراتيجيات كآليات للهروب، ومن هذه الآليات «التسلطية» والتكوين النفسي لهذه الشخصية يقوم على عشق القوة والحض على العدوان والتوحد مع نماذج القوة والحضور التلقائي للسادية والماسوشية (إبراهيم عيد، 2005، 108).

كما يؤكد «فروم» أن الحافز والدافع البيولوجي هو الذي يشكل سلوك الفرد، وبناء على ذلك فإن الفرد قد يسلك سلوكاً عدوانياً نتيجة لقوة تلك الحوافز والدوافع، خاصة أن الإنسان يكافح من أجل التخلص من عجزه لأجل تحقيق حاجاته وذاته والسيطرة على مادية المجتمع، وبذلك ينظر «فروم» إلى أن الفرق بين الشخصية السوية وغير السوية يكمن في عثور الفرد السليم على إجابة لدوافعه تشبع معظم حاجاته، بينما غير السوي قد يسلك سلوكاً إجرامياً لكي يشبع حاجاته؛ لأنه غير قادر على إشباعها بالطرق المنطقية السليمة.

أما «يونج» فيذهب على أن المصادر الرئيسة للقلق والصراع هي وقوع

النماذج الأصلية للشعور الجمعي في صراع مع الأنا، أو وقوع اللاشعور الشخصي في صراع مع الأنا.

ومن المفاهيم الأصلية لبنية الشخصية عند «يونج» كان مفهوم «الظل» وهو الذي يحتوي على النزعات العدوانية والدوافع الدنيئة البدائية والعناصر اللااجتماعية التي تكمن في أعماق النفس البشرية، وهو ينطبق مع مفهوم الهو عند فرويد (فيصل عباس، 1994، 128).

في حين يذهب «آدر» إلى أن الشعور بالنقص والسعي وراء القوة الاجتماعية هما أسباب القلق والصراع، سواء كان هذا الشعور مبنياً على أسباب حقيقية أو مجرد وهم وخيال. إن عقدة النقص واحدة من أهم اكتشافات علم النفس الفردي. والمؤلف يرى أن الشخص البلطجي هو شخص يعاني من عقدة نقص، فهو يفكر قائلاً لنفسه: من المرجح أن الكثير من أفراد ذلك المجتمع المحيط بي سيحاولون تجاهلي والتقليل من شأنى، ولهذا فأنا أسبقهم وأريهم مدى أهميتي.

إن هؤلاء البلطجية فشلوا في حياتهم بسبب نقص كبير في شعورهم بمدى احتياجهم لأصدقاء وحب باقي أفراد المجتمع، وأيضاً عدم احتياج باقي أفراد المجتمع لهم، ويمثل هذا النقص السبب الرئيس لفشل هؤلاء. فهم يتعاملون مع المشكلات بطريقة تنم عن عدم ثقتهم في أنفسهم للتغلب على هذه المشكلات من خلال التعاون؛ لأن «معنى الحياة» بالنسبة إليهم يظل محصوراً في نطاق ضيق لا يتعدى ذواتهم.

ويؤكد إريكسون Eriksson أن مشكلة العدوان ترتبط بالممارسات الوالدية القاسية والمليئة بالنبذ والسيطرة، وأن هذه الممارسات قد تجعل

الفرد في الكبر يسيطر على كل من حوله، سواء السيطرة التي تتسم بالقبول والحب، أو السيطرة الممثلة في القسوة والعدوان (حامد زهران، 1999، 78).

الغرائز الجزئية لدى الباطجي:

هي غرائز تندرج في غيرها، ولا تسعى كل على حدة لتحقيق اللذة مستقلة عن بعضها البعض، لكنها تنتظم وتندرج وخاصة في مرحلة المراهقة، وتعمل بشكل مساند للمنطقة التناسلية، وعندئذ تكون وظيفتها التحضير للفعل الجنسي. وفي التطور غير السوي قد يتوقف النمو ويثبت على إحدى هذه الغرائز المندرجة، وعندئذ لا تعود وسيلة لغاية، لكنها تصبح هي نفسها مصدرًا للذة النهائية، وهو ما نشاهده في الاستعراضية والنظرية والسادية والماسوشية (عبد المنعم الحفني، 1994، 156).

ويشير «مخيمر» إلى أن «فرويد» لا يقف عند غريزتي الحياة (الجنسية) أو الموت (العدوانية)، بل يرجع الغريزة الجنسية إلى عدد من العناصر التكوينية، يطلق عليها الغرائز الجزئية، وهذه الغرائز تتحدد في السادية والماسوشية والنظرية والاستعراضية، هذه الغرائز الجزئية ليست تابعة للجنسية وحدها، بل للجنسية والعدوانية معًا، فكثيرًا ما يمارس الفرد السادية والماسوشية معًا في نفس الوقت (صلاح مخيمر، 1981).

ويوضح أكرم زيدان (2002) أن الغرائز الجزئية وإن كان الأصل فيها يرجع إلى المفاهيم الجنسية، إلا أنها تشتمل على معاني أخرى كثيرة غير جنسية، بحيث يمكننا أن نقول أن العدوان والتخريب وإهانة الآخرين والتسلط والتحكم والعنف كلها تشير إلى مفهوم السادية، وكذلك مفاهيم إهانة الذات وإيلام الذات والانتحار والشعور المفرط بالذنب كلها مفاهيم

تشير إلى الماسوشية، وأن مفاهيم التجسس والفضيحة وكشف المستور تدرج تحت النظارية، وبالمثل مفاهيم حب الظهور والاعتداد بالنفس والمبالغة في تقدير الذات وسلوك المخاطرة والتباهي يتطابق مع مفهوم الاستعراضية.

وتأسيساً على ما سبق فإن الغرائز الجزئية من منظور البلطجة تعني العدوان والعنف والتسلط والتحكم والتلذذ بإيلام الآخرين، وهو ما نعي به السادية Sadism. إن البلطجي يتوحد بأكثر شخصيات الجماعة التي ينتمي إليها، ومن هنا يؤدي قصور التوحد والتطبيع الاجتماعي لدى الفرد إلى أن ينتمي إلى جماعات، وأن يتوحد مع شخصيات تدين بقيم مخالفة لقيم المجتمع الكبير، وهكذا يتصف سلوك الشخص البلطجي بكونه معادياً للمجتمع، ويكون فعله الإجرامي عدوان يتجه به ضد العالم الخارجي (سادية)، والشخص الذي يقع عليه الأثر (الضحية) قد يكون من نفس الجنس الذي ينتمي إليه البلطجي، أو قد يكون طفلاً أو حيواناً، وقد يكون الأثر الذي ينزله البلطجي بالضحية أماً مادياً يصل إلى حد القتل، وقد يكون نفسياً من قبيل التجريح والإذلال، كما حدث من بعض البلطجية عندما قاموا بإجبار شخص على ارتداء ملابس للنساء واقتادوه في الطريق العام وقاموا بتصويره بهدف إذلاله.

وبناء على ذلك لا ينظر المؤلف للسادية على أنها انحراف جنسي فقط، ولكنه يرى -أيضاً- أنها حفزات عدوانية تدميرية تجاه الآخرين بجانب كونها انحراف جنسي. فالسادية ليست مجرد انحراف جنسي بقدر ما هي تعويض للعجز عن الحب والإبداع، ويكون هذا التعويض في شكل إظهار للقوة وإيذاء الآخرين والسيطرة عليهم. فالسادية في الأصل عدواناً قبل أن

تكون جنسًا، فهي تمثل طرف مستبد ظالم ينزل الأذى بضحيته، ولا يستطيع أن يحس بالقوة إلا من خلال التحقق من ضعف الضحية.

هذا الطرف المتسلط لا يستقر له توازن إلا حين يدفع بذلك المقهور إلى موقع الرضوخ العاجز المستسلم، أي إلى الموقع الماسوشي.

إن السادية في ارتدادها على الشخص تكون الماسوشية Masochism التي تنشأ عن اتحاد الغرائز الجزئية مع غرائز الهدم الموجه ضد الذات، وهو ما يلاحظ في إدمان البلطجي للمخدرات والحبوب المخدرة، واشتراكه في مشاجرات يتعرض خلالها لجروح هو يسعى إليها ويفتخر بها، وبالتالي فإن السادية والماسوشية من أكثر المكونات الأساسية تداخلًا في شخصية البلطجي.

ويشير حسين عبد القادر (في فرج طه وآخرون، 2009، 146-147) إلى أن «الاستعراضية Exhibitionism هي إحدى الدفعات الغريزية الجزئية القهرية، والتي تشير إلى أن الدافع الغريزي الجنسي منذ البدء في حالة متعددة الأشكال، وأن الاستعراضية هي الوجه السالب للنظرية عندما تحل محل الهدف الجنسي السوي وتقهّر صاحبها لعرض الأعضاء التناسلية أو أجزاء أخرى من البدن يلزم الواقع بسترها».

أي أن الاستعراضية هي حب الظهور والاستعراض، وغالبًا ما يريد البلطجي من وراء استعراضه أن يصدّم الآخرين ويدهشهم، وهو ما يحقق له إشباع غريزي بعرض نفسه، فنجدّه يبادر بخلع ملابسه في أي مشاجرة، بل ومنهم من يتجرد من ملابسه تمامًا. وإذا كان الشخص السوي يفوز بمتعة ثانوية عندما يكون محط الأنظار، فإن الشخص المنحرف يفوز بمتعة رئيسية

عندما يلفت الأنظار إليه ويظهر التعري، حيث يظهر عوراتهم للنساء والأطفال عبر كاميرا الويب كبديل للضعف، في تحفٍ بدلاً من المواجهة، وبعيداً عن الحس والحقيقة، ويرجع البعض ذلك إلى عدم حل عقدة أو ذنب، بجانب عقدة الخشاء عند الفرد. وبذلك يتخذ البلطجي من نفسه مركزاً ثابتاً للانتباه، ويتوقع البلطجي الاستعراضي أن الآخرين سوف يذهلون من أفعاله سواء بالإعجاب أو الاشمئزاز.

والنظرية Scopophilia هي الوجه الموجب للاستعراضية، وهي حفزات الاندماج في ملاحظة أشخاص أثناء نشاط جنسي، وتكون النظرية انحرافاً إذا حدثت في ظروف لا يقبلها المجتمع. والنظرية ليست جنساً فقط، بل قد تشمل سلوكيات بعيدة عن الجنس، مثل كشف أسرار الغير عن طريق استراق النظر، أو عن طريق الهاكرز على أجهزة الآخرين ومعرفة ما بها من بيانات فيما يعرف بالبلطجة عبر الإنترنت أو البلطجة السيبرية. والنظرية لدى البلطجي هي في الأساس فعل سادي يحاول من خلاله أن يضرب الآخر في العمق من خلال معرفة جوانب ضعفه وقوته، والاستمتاع بهتك سره، فالنظرية كراهية، ومحاولة لافتضاح الآخر بما لا يليق، وهي بذلك قسوة يحاول فيها البلطجي أن ينال من الآخر ويلغي إرادته.

بالإضافة إلى أن البلطجي يستجيب للتوحدات البطولية، وهي التوحدات التي تضيفي قيمتها على سلوك البلطجة كعمل بطولي، ولذلك فإن البلطجة بالنسبة للبلطجي هي وسيلة للتوافق تحقيقاً لذاته. وبحسب نظرية التحليل النفسي فإن الإنسان لديه غرائز عدوانية مضادة للمجتمع، ولكنها لا تخرج إلى حيز الواقع إلا عندما ينحرف نمو الأنا ونمو الأنا الأعلى عن المسار

الطبيعي لدى الأسوياء، أما في حالة السوية فإن العدوان الفطري يكبت ولا يخرج إلا في أحلام اليقظة والأحلام.

وامتداداً للحديث حول الأنا والأنا الأعلى يعتقد المؤلف أن البلطجة في مرحلة المراهقة هي محاولة لتقوية الأنا الذي جرحته مشاعر الدونية بالانضمام إلى جماعات منحرفة، أو أنه يبرهن لنفسه على شجاعته، وهي محاولة تدفعها رغبة خفية لعقاب الوالدين بإتباع سلوك ينغص حياتها فيه تضخيم لذاته (بارانويا)، وتكون أكثر أنواع البلطجة انتشاراً في هذه المرحلة هي البلطجة الجنسية استجابة لدوافع غريزية معطلة أو مهملة تخرج في شكل سلوك جنسي خاطئ.

النظرية السلوكية الراديكالية

(أنصار التغيير الأساسي والسريع):

انتقد واطسون Watson تفسيرات التحليل النفسي للسلوك الإنساني، وكان متحمساً في رؤيته بأن علم النفس يجب ألا يكون علماً للعقل وإنما هو علم للسلوك، كما كان شديد الاعتقاد بتأثير البيئة على الإنسان، وأن الإنسان يتشكل مما يتعلمه.

ويؤكد «واطسون» أن السلوك العدواني عند الفرد محكوم بالمشيرات البيئية وأنه كلما زادت المشيرات التي تؤدي إلى الاستجابة العدوانية كلما نمت صفة العدوان، وهذا ما أسماه بمبدأ التكرار، ولن يتم ذلك التكرار إلا إذا قوبل بالدعم والتعزيز، وبذلك تصبح صفة العدوان رهينة تكرار المشيرات وتدعيمها (محمد السيد عبد الرحمن، 2000، 107).

ويرى السلوكيون أن السلوك المرضي يمكن اكتسابه كما يمكن التخلص منه، ومن ثم عدم وجود اختلافات بين طريقة اكتساب السلوك العادي وطريقة اكتساب السلوك المرضي، إذ أن العملية الرئيسة في كلتا الحالتين هي عملية تعلم، وهي عملية تكوين ارتباطات بين مثيرات واستجابات.

ويتفق «سكينر» Skinner مع «فرويد» في حتمية السلوك وعدم عشوائيته، في حين ينتقض تفسيرات نظرية التحليل النفسي بسبب إدخال بعض المفاهيم العقلية بين السلوك والحدث المسبب له (روبرت د. ناي، 2003، 101). وقد أكد على مبدأ الإشراف البسيط مثل التعزيز والانطفاء والإشراف المضاد والتميز، ويرى أن العدوان سلوك يظهر نتيجة التعزيز، أي أن الوالدين إذا لم ينكروا ويعاقبوا أطفالهم على السلوك العدواني فهذا يمثل لهم تعزيز للاستمرار، في حين يرى أن العقاب إذا لم يعقب بتدعيم لسلوكات جديدة فإن السلوكات المعاقب عليها قد تظهر وقد تكون أكثر قوة.

يقول «هنري ماير» (1981، 189) وعلى الرغم من اهتمام علماء المدرسة السلوكية بالثواب والعقاب، واعتباره من العوامل ذات التأثير القوي في التنشئة الاجتماعية، إلا أنه يعتبر أساس المشكلات السلوكية، وأنه لا يؤدي إلى إخماد السلوك غير المرغوب فحسب، بل يؤدي إلى آثار جانبية ضارة، قد يؤدي إلى مشاعر الذنب، وزيادة مشاعر الغضب، والعدوان والقلق.

وباختصار فإن الاستجابات المعززة (البلطجة) تميل إلى التكرارية والزيادة في حدوثها، وتصبح لها جذورها كاستجابات عادية وشائعة في سلوك الشخص وعاداته، وهذا ما نجده في مرحلة الانفلات الأمني بعد الثورة وغياب الشرطة التام عن موقع الأحداث، فوجدنا البلطجي الذي

يمارس بلطجته على الآخرين يرى نفسه وكأنه بطل (تعزيز) وبالتالي فإنه يكرر نفس السلوك في المواقف المشابهة. وطبقاً «لسكينز» فإن الشخص البلطجي قد تم تشجيعه والتفاخر بسلوكه في طفولته من والديه أو رفاقه، وأيضاً البيئة التي يعيش فيها، وهو ما يطلق عليه بالتعزيز الإيجابي Positive reinforcement. أما التعزيز السلبي negative reinforcement فهو مثل الإيجابي، ولكن بدلاً من أن تعطيه حافزاً ترفع عنه شيئاً كريهاً، فعندما يتم التغاضي عن أفعال البلطجي في مقابل أن يأتي بالمعلومات عن آخرين فإن هذا هو التعزيز السلبي.

النظرية السلوكية الجديدة

فسر هـل Hall عملية التعلم على أساس إختزال للحافز، أي أن السلوك المتعلم يظهر فقط إذا تلا استجابة الفرد إختزال للحافز، فالطفل يتعلم الرضاعة للتخفيف من جوعه، ولو لم يحدث هذا التخفيف فالطفل لن يتعلم القيام بهذا النشاط. وكذلك الفرد يتعلم البلطجة من أجل أن يشبع حاجة ما، كأن يعتدي أو يسرق لضعف مادي، أو يعتدي على غيره كنوع من الانتقام، أو أنه يمارس البلطجة الجنسية لإشباع الدافع الجنسي.

ويذهب ميللر ودولارد إلى أن التعلم يتم أساساً عن طريق التقليد. والتقليد، في نظرهما، نزوع مكتسب، فالناس يكتسبون مهاراتهم وعاداتهم من خلال إدراكهم لما يفعله الآخرون في مواقف وأوضاع محددة. إن الطفل يحاول أن يقوم بمثل ما يقوم به والداه وإخوته الكبار. وهذا ما يطلق عليه ميللر ودولارد اسم التعلم الاجتماعي.

كما يؤكد كلاهما على أن الإحباط يقود إلى العدوان، وأن عدم تحقيق الفرد لأهدافه يشعره بالإحباط الذي يؤدي إلى السلوك العدواني إزاء الأشخاص أو الممتلكات أو الأشياء التي حالت دون تحقيق أهدافه، وهذا يعتبر من أبرز أضرار الشخصية المضادة للمجتمع، كما أكد على أنه كلما زادت شدة الدافع الذي يرغب الفرد في إشباعه وتتم إعاقة ذلك الإشباع، كلما زادت شدة الإحباطات، ومن ثم زيادة حدة السلوك العدواني.

ويركز «باندورا» Bandura على قدرة الفرد على تعلم سلوكيات متقنة تتشكل على نحو يتواءم داخل النظام المعقد لحياتنا، كما يذهب إلى أنه يوجد ما بين المثير والاستجابة تكوين معقد للغاية وهو الشخص الداخلي Inner Person الذي يستطيع أن يتخذ قرارات وأن يحلل الأحداث والمثيرات قبل أن يأتي بالاستجابة (إبراهيم عيد، 2005، 51).

ووفقاً لباندورا فإن الشخص يتعلم سلوكيات البلطجة عن طريق ملاحظة سلوك الآخرين، وهؤلاء الآخرون يعتبرون من الناحية التقنية نماذج Models وتعلم البلطجة من خلال مثل هذه الملاحظة يسمى الاقتداء بالنموذج. وتجدر الإشارة إلى أن تعلم البلطجة بالملاحظة قد لا تظهر أثرها في أيام أو أسابيع أو حتى شهور؛ لأن الإنسان لديه القدرة على إدخال المعلومات وتخزينها واسترجاعها حول الاستجابات التي صيغت على نمط النماذج التي تعرض لها.

التيار الإنساني

تأثر هذا التيار بالفلسفة الوجودية التي هي تشكيلة متجانسة من علم اللاهوت والفلسفة والطب النفسي وعلم النفس، وقد اندمجت جميعاً لفهم

الوعي والسلوك الإنساني والانفعالات البشرية، ويركز الوجوديون على الوعي الإنساني وعلى أن الإنسان موجود في العالم يعي وجوده ويعي العدم المتربص به (الموت)، وأن الإنسان هو الذي يضفي على الحياة معنى، ومن ثم فهو مسئول عمن يكون وعن ماذا يكون (إبراهيم عيد، 2005، 54-53). ويرى رشدي فام (2000، 61) أن «أهم نقطة في التيار الإنساني هي إلقاءه بالتبعة والمسئولية الكاملة على الإنسان فيما يتعلق بأفعاله ونواتج سلوكه وتصرفاته».

أي أن سلوكات البلطجة بكل أشكالها، وغيرها من أي سلوك انحرافي تكون مسئولية الشخص القائم بالفعل وأنه مسئول عنه مسئولية كاملة. صحيح أن الماضي له تأثير على الحاضر والمستقبل، ولكن هذا الماضي لا يحدده أو يحتمه. «أي أن التيار الإنساني يعترض على الحتمية الميكانيكية للسلوك، ويرى أن الإنسان كائن عاقل يستطيع إذا عمل عقله أن يعدل من سلوكه دائماً».

وتقوم أفكار «روجرز» Rogers في سيكولوجية الإنسان على أن الحافز أو «الدافع» الأكثر تأصلاً في الإنسان والأقوى تأثيراً على شخصيته هو حافزه إلى تحقيق ذاته وتقويتها. ويفترض روجرز أن الطبيعة الإنسانية الأساسية إيجابية في الواقع، وأنه ليس هناك شيء سلبي أو شرير بالفطرة داخل الإنسان، وأن الإنسان إن لم ندخله في تركيبات اجتماعية في شكل «قوالب» يصوغها المجتمع بقيمه وأعرافه، وإذا قبلناه كما هو لوجدناه كائناً «طيباً» ينمو نحو تقدم نفسه وتقدم مجتمعه.

وعندما يمر الفرد بخبرة غير منسجمة مع شروط تقدير الذات لديه فإن هذه الخبرة لا تنضم ضمن نظام خبراته بشكل يقبله، عندها يناله التشويه

والتحريف والإنكار، الأمر الذي يحدث التناقض بين الذات والخبرة، ويصاحب هذا التناقض شعور بالتهديد والقلق، وعندما يزداد هذا التناقض بدرجة عالية فإن الفرد سوف يكون مضطراً إلى مساعدة تجعله منسجماً مع الذات، وعندما لا يحصل له ذلك الانسجام يجد نفسه محبطاً، عندها يشعر بقوة اتجاه العدوان على الذات والآخرين (عبد المطلب أمين القريطي، 1998، 92).

ويندرج فكر «ماسلو» Maslow (1908 - 1970) مع فكر روجرز تحت عباءة المدرسة الإنسانية، حيث يعتقد أن الإنسان خير بطبعه، وطبقاً لرأي «ماسلو» فإن السبب الأول للمشكلات السلوكية هو الفشل في إشباع الحاجات الأساسية مثل الحاجات الفسيولوجية وحاجات الأمان والمحبة والتقدير وتحقيق الذات، وكلما زادت حدة عدم تحقيق الذات كلما زادت خطورة السلوك المنحرف (محمد السيد عبد الرحمن، 2000، 98).

تعليق على النماذج المضرة

لقد اعتقد «فرويد» بأن الإنسان طوال حياته يتحرك وفقاً لتاريخه السابق، ولا يزال يحمل خلال مراحل حياته ميلاً للعودة إلى مراحل ما قبل الحياة أو الموت، هذا الميل يتمثل نفسياً في الرغبة في الموت. وقد تظهر تلك الرغبة مباشرة كما في حالات الانتحار، أو بصورة غير مباشرة عندما يهوى بعض الأفراد هوايات مدمرة مثل: سباق السيارات، أو الأعمال المتهورة في أنشطة تحمل في طياتها مخاطر جسمية، أو إدمان الكحول والسجائر، وعموماً فإن غريزة الحياة تتعارض مع غريزة الموت وتقف حيال تحقيقها.

وينظر أصحاب المدرسة السلوكية عموماً للبلطجة على أنها سلوك شاذ ومكتسب، ويتم اكتسابه بفعل عمليات خاطئة من التعلم، كما اعتقد السلوكيون أن السلوكات الشاذة والسوية على حد سواء سلوكات متعلمة؛ لأن السلوك عموماً يخضع للقوانين نفسها ويكتسبه الإنسان تبعاً لقوانين الاشتراط الإجرائي والاشتراط الكلاسيكي، علاوة على أن السلوك الشاذ يحدث نتيجة لخلل في عملية الاشتراط (التعلم) وغالباً ما يكون ذلك على شكل تعزيز للسلوك غير التوافقي وعدم تعزيز السلوك التوافقي.

فالبلطجة سلوك مكتسب ومتعلم من التفاعل والاحتكاك بالبيئة الاجتماعية والمادية التي ينشأ فيها الفرد، مثله في ذلك مثل التدخين واللعب... الخ؛ لأن الإنسان يولد أملس الحواس، يحتاج إلى الترويض والتعلم لاكتساب المهارات، فهو لا يعرف الخير والشر ولا الحسن والقبيح، فهي صفات لا تولد معه، ومن هنا يأتي دور الأسرة والمجتمع، على أن للوراثة

دور لا ينكر في تحديد وتأسيس الصفات بألوانها المتعددة وأهمها صفتا: الخير والشر.

وجاء التيار الإنساني ليجعل للإنسان حقه في الاختيار، وحقه في أن يخطئ ويتعلم من أخطائه، ولذلك كان العلاج بالمعنى تأكيداً على الإرادة والمعنى، وتأويلاً للأحداث وليس تركيزاً عليها، فكان التيار الإنساني مستقبلي التوجه، فإذا كان الشخص ضحية لبلطجي وأعمال بلطجة في الماضي فليس من الضروري أن يكون بلطجياً بعد ذلك، كما أن شخصية البلطجي وما يصدر عنها من سلوك لا ترجع فحسب إلى الوراثة، كما لا ترجع فحسب إلى البيئة، بل ترجع إلى الأمرين معاً، فما من نضج بغير تعلم، وما من تعلم إلا في الحدود التي يسمح بها النضج. ثم كان هرم «ماسلو» للحاجات والذي في قمته تحقيق الفرد لذاته، الفرد كفرد، في الوقت الذي نجد فيه أن قمة الهرم المنشود وحاجاته عندنا تنتهي بتضحية الفرد بذاته وماله في سبيل وطنه وأرضه وأمته.

ويعتقد المؤلف أن النفس ليست شريرة محضة ولا خيرة محضة، وإنما تجمع في غرائزها الفطرية بين هذا وذاك، وفي ذلك يقول تعالى: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ﴿٨﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا ﴿١٠﴾﴾ [الشمس: 7-10]. كما أن الإنسان مسئول مسئولية مباشرة عما تتلقاه حواسه حين يعيش في بيئة فاسدة أو منحرفة، وتحويلها إلى بيئة صالحة. فهو يتعلم سلوك البلطجة من البيئة المتمثلة في الأسرة والأقران والجيران و... إلخ، ولكن تقع على عاتقه مسؤولية التغيير والتعديل، حتى لا يتعود على السلوكات الضارة مثل التدخين، وتعاطي المخدرات، وتناول الكحوليات، وممارسة

القمار، والبلطجة، وغيرها من السلوكات الشاذة. فالخواطر والأفكار هي البداية، ثم تدخل المجال الإدراكي للفرد وتنمو لتصبح تصوراً لإجراءات، و يترجمها الفرد إلى إرادات تدفعه إلى سلوكات تقوم بها جوارحه، وبتكرار السلوك يصبح عادة Habit يقوم بها بشكل تلقائي.

فالإنسان ليس مجرد دوافع وانفعالات وقوة غرائز، وإنك لترى أنه ليس أكثر من إنسان خاضع عند «سكينر»، ومبرمج عند «لورانز»، ومنفصم عند «فرويد»، وهذا الإنسان غير الإنسان الذي تريده تربيتنا قطعاً، فنحن نريد إنسان قادر على أن يقوم بوظيفته كما أسندها الله إليه، وهي الخلافة في الأرض وعماراتها والسعي فيها واستنباط قوانينها وإقامة الحق والعدل بين مواطنيها، ومن هنا كانت التعاليم السماوية من خلال رسالاتها الإنسانية التي أعطت للخلق معنى وبعد إنساني لفكرة الخير والشر، حيث ارتبطت بالنوايا وصدقها وقيمة الخير والشر وثواب وعقاب هذا أو ذاك.

الفصل السادس

ضحايا الباطجة وسوء التوافق النفسي

إن مفهوم التوافق في الأصل مفهومًا بيولوجيًا على نحو ما حدده «دارون»، فالتوافق لديه يعني قدرة الكائن الحي على التلاؤم مع ظروف البيئة وما يطرأ عليها من تغيرات، بحيث تتحقق المحافظة على الحياة (صلاح مخيمر، 1984، 11)، ويستخدم المفهوم في عالم الحيوان باسم التكيف Adaptation وقد استعار علماء النفس مفهوم التكيف وأعادوا تسميته بالتوافق Adjustment. ولقد اختلف العلماء في المفهومين، فمنهم من يرى أن التوافق والتكيف متساويان، ومنهم من يفرق بينهما، فيرى مصطفى فهمي (1979، 23) أن التوافق النفسي (التكيف) عبارة عن عمليات دينامية مستمرة يهدف بها الفرد أن يغير من سلوكه ليحدث توافقًا أكثر بينه وبين نفسه من جهة، وبينه وبين البيئة من جهة أخرى.

ومنهم من يرى أن التوافق أعم من التكيف «ويكاد معناه يكون قاصراً على النواحي النفسية والاجتماعية، بينما التكيف يختص بالنواحي الفسيولوجية، وبذلك تصبح عملية تغيير الفرد لسلوكه ليتسق مع غيره، وذلك بإتباعه للعادات والتقاليد وخضوعه للالتزامات الاجتماعية لعملية التوافق، وتصبح عملية تغيير حدقة العين باتساعها في الظلام وضيقتها في الضوء الشديد عملية تكيف».

ويرى آخرون أن التكيف يشمل الإنسان والحيوان في علاقته مع البيئة التي يعيش فيها، وقد يحدث تحولات في كيانه لمواجهة المشكلات والصعوبات المفروضة عليه من البيئة، أما التوافق فهو مفهوم خاص بالإنسان في سعيه لتنظيم حياته وحل صراعاته ومواجهة مشكلات حياته من توترات وإحباطات وصولاً إلى الرضى النفسي.

فالتوافق هو الرضا بالواقع المستحيل على التغيير، ولكن في سعي دائم لا يتوقف لتخطي الواقع الذي يفتح للتغيير على طريق التقدم والصيرورة، والتوافق هو تزاوج النقيضين، وائتلاف بين المألوف والجديد، وبين الجمود والمرونة وبين الحياة والعدم، وبين سلبية الاستسلام الذي يستحيل تغييرها وبين الإيجابية في الابتكار لما يفتح للتغيير، وبغير هذه الإيجابية لا يكون ثمة توافق، أي أن دياكتيكية التوافق تقتضي المزوجة بين الرضا بالواقع المنغلق على التغيير وبين الواقع المنفتح للتغيير (صلاح مخيمر، 1996، 2-1).

ويبين فرج طه وآخرون (2009، 422) أن التوافق يعني أن يحقق الفرد نجاحاً في مواقف حياته المختلفة، فيستفيد منها أو يتحاشى قدر الإمكان أضرارها. والتوافق النفسي يتضمن إشباع حاجات الفرد ودوافعه بصورة لا تتعارض مع معايير المجتمع وقيمه، ولا تورط الفرد في محظورات تعود عليه بالعقاب، ولا تضر بالآخرين أو بالمجتمع.

ومن خلال التعريفات السابقة يرى المؤلف برؤية التحليل النفسي أن الفرد المتوافق هو الذي يخلو من الصراعات الشعورية واللاشعورية، كما أنه يتمتع بالمرونة مع مطالب النمو في المراحل المختلفة، أي أن هذا الشخص يتمتع بأنا قوية تستطيع أن توازن بين الهو والأنا الأعلى. بينما يرى

السلوكيون أن توافق الفرد متعلم، وعليه أن يساير المجتمع بما فيه من تقاليد ومعايير ولا يصطدم معها.

ويمكن تعرف التوافق النفسي بأنه: قدرة الفرد على الانسجام مع نفسه والرضا بما قسم الله له مع السعي الدائم للتقدم، وقدرته على مواجهة مشكلاته وإحباطاته، وكذلك قدرته على الانسجام مع بيئته ومرونته مع التغيرات التي تطرأ عليها حتى يحقق لنفسه الشعور بالرضا النفسي والاجتماعي.

أبعاد التوافق

يشمل التوافق مجالات عديدة من حياة الفرد، وسوف يركز المؤلف على: التوافق الشخصي، والتوافق الاجتماعي، والتوافق الأكاديمي، والتوافق الأسري؛ لارتباطهما بالمتغير الأساسي للدراسة وهو البلطجة.

التوافق الشخصي

هو أن يكون الفرد راضياً عن نفسه، غير كاره لها أو نافر منها أو ساخط عليها، كما تتسم حياته النفسية بالخلو من التوترات والصراعات النفسية التي تقترن بمشاعر الذنب والقلق، ويتضمن السعادة مع النفس والرضا عن النفس، وإشباع الدوافع والحاجات الداخلية الأولية الفطرية والعضوية والسيولوجية والثانوية والمكتسبة، ويعبر عن «سلم داخلي» حيث يقل الصراع الداخلي، ويتضمن كذلك التوافق لمطالب النمو في مراحل المتابعة. وعليه يكون ضحايا البلطجة أناس غير متوافقون شخصياً، ويعانون من الضغوط النفسية والتوترات والقلق بل ومشاعر الذنب التي تنتج من عدم مقدرته على مواجهة بلطجة الآخرين، فهو في صراع دائم مع النفس، ولقد بينت دراسة C.M. Wienke Totura et al (2009) أن ضحايا البلطجة يعانون من مشكلات نفسية أهمها القلق والاكتئاب والشعور بالوحدة وتدني احترام الذات.

التوافق الاجتماعي

يتضمن السعادة مع الآخرين والالتزام بأخلاقيات المجتمع ومسايرة المعايير الاجتماعية والامثال لقواعد الضبط الاجتماعي وتقبل التغير

الاجتماعي، والتفاعل الاجتماعي السليم والعمل لخير الجماعة، كما يرى البعض أنه قدرة الفرد على عقد صلات اجتماعية راضية مرضية، تتسم بالتعاون والتسامح والإيثار، لا يشوبها العدوان أو الاتكال أو عدم الاكتراث لمشاعر الآخرين. وقد أثبتت الدراسات أن ضحايا البلطجة أكثر قلقًا وانسحابًا من المجتمع وانخفاضًا لاحترام الذات عند المقارنة بمن يتنمرون عليهم (Graham, Bellmore, & Mize, 2006).

ويوضح فرج طه وآخرون (2009، 421) أن التوافق الاجتماعي خاص بالعلاقات الاجتماعية، حيث ينجح الفرد في عقد علاقات متبادلة مع الآخرين والمحافظة طويلاً عليها، وتتميز بإحساس متبادل بالود والسعادة والراحة في التواجد معًا، والتعاون المتبادل في قضاء حاجة كل منهم، والنجاح في تحقيق مصالح الفرد المعتمدة على الآخرين، بحيث يحققونها له بترحاب وسعادة مع تذييل أي صعوبات.

التوافق الأكاديمي

هو المحصلة النهائية للعلاقة الديناميكية البناءة بين الطالب من جهة ومحيطه المدرسي من جهة أخرى، والتي تسهم في تقدم الطالب ونمائه العلمي والنفسي، وتتمثل أهم المؤشرات لتلك العلاقة في الاجتهاد في التحصيل العلمي، والرضا والقبول بالمعايير المدرسية والانسجام معها، والقيام بما هو مطلوب منه على نحو منظم ومنسق، فالطالب المتوافق يندمج مع زملائه ويساعدهم إذا احتاج أحدهم إليه، علاوة على أنه محبوب لديهم، وغير المتوافق على النقيض من ذلك تمامًا. أضف إلى ذلك أن الطالب المتوافق على علاقة طيبة

بأساتذته، ويشعر نحوهم بالموودة والاحترام ولا يجد صعوبة في الاتصال بهم والتحدث إليهم، بالإضافة إلى أنه يشارك في الأنشطة الاجتماعية والثقافية. ولقد أثبتت البحوث والدراسات أن الطلاب ضحايا البلطجة غالباً ما يعانون من العزلة الاجتماعية، والحجل المرضي، وغير مهتمون بتكوين علاقات اجتماعية مع الآخرين، كما أنهم معرضون لخطورة الفشل الدراسي أكثر من غيرهم؛ لأن الإيذاء الواقع عليهم يؤدي إلى الإنسحاب والتجنب، والتغيب عن المدرسة وانخفاض المشاركة الأكاديمية حتى يتجنبوا الإيذاء الواقع عليهم من البلطجية (Buhs & Herald, 2006).

التوافق الأسري

شعور الفرد بالأمان والتقبل داخل الأسرة، والقدرة على التفاعل بشكل إيجابي مع كافة أفرادها، وسلامة العلاقات بين الوالدين فيما بينهما، وفيما بين الأولاد، وبين الأولاد بعضهم البعض، حيث يسود الحب والثقة والاحترام المتبادل بين الجميع. وبالتالي يكون الشخص الذي يتعرض لبلطجة الآخرين ولا يشرك أسرته في معاناته غير متوافق أسرياً، وعلى العكس من ذلك من يتعرض للمضايقات ويلجأ لأسرته لحسم الأمور ووضع حلول لمشكلته سواء مع إدارة المدرسة أو مع الجهات القانونية.

أسباب سوء التوافق

وعلى العكس مما سبق فإن الشخص غير المتوافق هو ذلك الشخص الذي فقد القدرة على الموازنة بين حاجاته الشخصية من جانب، وبين متطلبات الواقع الاجتماعي من جانب آخر. هذا الشخص سيء التوافق أي أنه يظل عاجزاً عن الموازنة بين نفسه وبيئته، فهو يفتقد القدرة على الحلول السليمة للمشكلات التي قد تعترض حياته عجزاً يفوق ما يتوقعه من ذاته أو ما يأمله الآخرون منه.

وبحسب «فرويد» فإن التوافق يرجع إلى «الأنا»، حيث «الأنا» القوية تسيطر على «الهو» و«الأنا الأعلى» وتحدث توازن بينهما وبين الواقع، فالأنا الضعيفة لا تسيطر على الهو فتجعلها شخصية شهوانية وعدوانية تحاول إشباع غرائزها دون مراعاة الواقع، مما تؤدي إلى الانحراف، وفي حال عدم سيطرة الأنا على الأنا الأعلى تجعل الشخصية متشددة، وتشعر بالذنب المبالغ فيه، فتؤدي إلى الاضطراب وسوء التوافق، كما يعتبر «فرويد» أن التوافق نادر لدى الإنسان وأن بداية سوء التوافق ترجع إلى السنوات الخمس الأولى من عمر الفرد.

ويشير مخيمر (1980، 4) إلى أن مدرسة التحليل النفسي في قضية التوافق ترى أن هناك إهمالاً للواقع الاجتماعي والبيئي الذي يمثل القطب الثاني لعملية التوافق بعد البعد الشخصي الذي يمثل القطب الآخر، فالتوافق هو انسجام بين الهو والأنا والأنا الأعلى، ولكن أين يوجد الواقع الاجتماعي؟ إننا يمكن أن نلتمس إشارة له في الأنا الأعلى الذي كان هو محصلة لما يجب أن يكون عليه الفرد وما لا يجب أن يكون عليه الأنا المثالي (الضمير) وعلى

الرغم من إمكانية تواجد الوعي الاجتماعي في الأنا الأعلى، إلا أنه توجد في اللاشعور، ومن ثم فإننا نرى أن مدرسة التحليل النفسي قد ضيقت في مجال التوافق لتقصره على أضيق نطاق من التوافق النفسي، ومن ثم فإن هذا الاتجاه يضعف من الجانب الإرادي للفرد، وذلك باعتبار تحقيق توافقه مرهون بإشباع حاجاته، كما أنه اعتبر المحيط الخارجي طرفاً سلبياً في عملية التوافق، وجعل الإنسان وكأنه وعاء يعبأ بالتوترات أو يعمل على خفضها.

إن خفض التوتر هو محور تصور مدرسة التحليل النفسي لمفهوم التوافق، وهي ترى أن الشخصية السوية هي القادرة على الحب والعمل، والقادرة على التعامل مع مبدأ الواقع.

ويؤكد أدلر Adler أن الإنسان كائن يناضل من أجل الكمال، وأن الناس صنفان: صنف يناضل من أجل التفوق والعلو (متوافق)، وصنف يستسلم مستكيناً متقهقراً إلى الوراء (غير متوافق)، كما أن جوهر وجود الإنسان يكمن في عدم انفصاله عن المجتمع، بل هو مكون من مكوناته، ومن ثم كان تركيزه المستمر على الإنسان بما هو إنسان من حيث قدرته على تشكيل حياته وتقرير مصيره، والتغلب على دوافعه، وتطوير نفسه وتطوير العالم المحيط به، وقد اعتبر أن الاهتمام الاجتماعي يمثل معياراً مفيداً لقياس الصحة النفسية للفرد، وأن الأشخاص غير المتوافقين اجتماعياً يفتقرون إلى الاهتمام الاجتماعي، ويعيشون في مركز حاد على أنفسهم.

ثم افترض يونج Jung اللاشعور الجمعي الذي يعد انعكاساً لأفكارنا ومشاعرنا التي يشترك فيها الناس جميعاً، كما يرى أن اللاشعور الجمعي معبأ بإمكانات متواصلة بتواصل حلقات الزمان، وأنه يمكننا أن نبحت

عن إمكانات جديدة للحياة من اللاشعور، بينما أكدت هورني Horny على العوامل الاجتماعية وأهمية الحب الوالدي، وقد انتهت إلى وضع أنماط للتوافق السوي للفرد مع الآخرين والتي تتضمن السعي نحو الآخرين أو السعي ضدهم أو السعي بعيداً عنهم.

ثم كان تأكيد فروم Fromm على العوامل الاجتماعية والاقتصادية والسياسية في تشكيل شخصية الإنسان، وبالتالي فإن الفرد غير المتوافق يكف عن أن يكون نفسه، إنه يعتنق نوع الشخصية المقدمة إليه ويصبح كالألة بعد أن يتنازل عن فرديته، فيشعر بالوحدة والعجز والاعتراب، ولكي يواجه هذه المشاعر فإنه يتجه إلى المسايرة الآلية للمجتمع، وقد ينزع إلى التدمير والهدم، وقد يثبت بالسلوك التسلطي بجانبه السادي والماسوشي.

ومما لاشك فيه أن هذا الاتجاه الجديد في التحليل النفسي قد وضع الفرد في إطاره الاجتماعي بدلاً من تناوله في إطاره الفردي، ولعل هذا الاتجاه أفضل من الاتجاهات السابقة لأنه ربط الصحة النفسية للفرد بالصحة النفسية للمجتمع، فالأولى هي نتاج طبيعي للثانية.

كما يرى أصحاب المدرسة السلوكية أن التوافق هو نمط من المسايرة الاجتماعية؛ لأن المسايرة الاجتماعية من طبيعتها تجنب الصراع بين القوى الداخلية عند الفرد وضغوط الجماعة، أي خضوع الفرد لتلك الضغوط الصريحة والضمنية، فيحكم الفرد ويعتقد ويتصرف متفقاً مع أحكام وعقائد وتصرفات الجماعة. فالتوافق عملية مكتسبة عن طريق التعلم والخبرات التي يمر بها الفرد، والسلوك التوافقي يشتمل على خبرات تشير إلى كيفية الاستجابة لتحديات الحياة والتي سوف تقابل بالتعزيز أو التدعيم.

فالسوكية ترى أن أسباب السلوك تكمن في البيئة الحالية التي تحدث فيها المثيرات ويحدث فيها التدعيم والعقاب لاستجابات محددة لهذه المثيرات. وبمعنى آخر إن أسباب السلوك تكمن في عملية التعلم، أي العملية التي يتم بها تغيير سلوك الفرد في استجابته للبيئة. فالسلوك السوي وغير السوي هو نتيجة أنماط التعلم، وأن أنماط التعلم غير التكيفية هي السبب الرئيسي في اللاسوية النفسية. ولذلك قد يساعد إعادة التعلم Relearning في تغيير السلوك. لذلك يسعى العلاج السلوكي إلى تغيير الاستجابات من خلال نفس أنماط التعلم التي ساعدت على حدوثها أساساً.

بينما يرى أصحاب التيار الإنساني أن التوافق يقوم على تحقيق الفرد لذاته، فإذا لم يستطع الفرد أن يحقق ذاته سيكون غير متوافق، بالإضافة إلى أن التوافق لا يتحقق إلا إذا أشبعت الحاجات الأساسية للفرد، مثل الحاجات الفسيولوجية، وحاجات الأمان والحب والتقدير وتحقيق الذات.

ويشير ماسلو Maslow إلى أن التوافق يرتبط بتحقيق الذات، وأن الكائن الحي ينشط ليحقق إشباعاً لحاجاته، حيث يندفع الكائن الحي إلى إشباع الحاجات الأولية أو الفسيولوجية، فإذا أشبعها اختفت من مجال دافعيته وأفسحت المجال للمستوى الثاني من الدوافع، فإذا أشبع هذا المستوى أيضاً اختفى وأفسح المجال للمستوى الثالث وهكذا.. ويرى «ماسلو» أن سلوك الإنسان محكوماً بالدوافع غير المشبعة، فالفرد الذي يبحث عن التقدير والاحترام من الآخرين قد أشبع دافع الجوع، ولو لم يشبع هذا الدافع لما فكر في التقدير والاحترام ولصرف همه في البحث عن الطعام أولاً، ويوضح أن الشخص المتوافق يتصف بالتلقائية وتقبل

الذات وإدراك الواقع والاستقلال والعلاقات القوية مع عدد مختار من الأصدقاء.

ويرى بعض الباحثين أن سوء التوافق قد يكون حالة دائمة أو مؤقتة، تظهر في عجز الفرد وإخفاقه في حل مشكلاته اليومية، وخاصة الاجتماعية، إخفاقاً يزيد على ما ينتظره الغير منه، أو ما ينتظره هو من نفسه. ويشير «طلعت منصور» إلى أن الشخص سيء التوافق يفعل ما يريد دون أن يضع الآخرين في اعتباره، أو يفعل ما يحته الآخرين عليه حتى وإن كان يعرف أن أفعاله خاطئة ولا تلقى استحساناً من جماعته، بينما الشخص حسن التوافق يتمتع بزاد أخلاقي معنوي يوجه سلوكه في المواقف الاجتماعية ويحدد علاقته بالآخرين (في إبراهيم قشقوش، 2010، 34).

ويعتقد المؤلف أن من أسباب سوء التوافق عدم التسامح، فالتسامح يعني العيش مع الآخرين بسلام، ويتضمن تقبل أفكار الآخرين التي قد يختلف معها. وقد يكون هذا الآخر إنساناً أو فكرياً أو رأياً، ويتم التعبير عن هذا التقبل في شكل الاعتقاد بأحقية هذا الآخر في الوجود. هذا التسامح يبدو صعباً عندما يكون هناك تهديد بانهيار التعاون الاجتماعي، ومن الخطأ أن يقتصر استخدام المصطلح على مجال التباين الفكري فقط، بل لابد أن يتسع ليغطي التباينات الأخرى. أي يكون التسامح هو القبول والتعايش مع الآخر المختلف بما هو إنسان وليس بما هو ينتسب إلى جماعة مغايرة، وإيماناً بأن التنوع طبيعي ومنطقي بل وضروري. وباختصار: أن نحيا نحن والآخرين على اختلافنا في عالم واحد يضمنا.

ولقد أشارت بيرنا Berna (2007) إلى أن الطلاب الذين يتعرضون

للبلطجة من قبل الآخرين غير متوافقين نفسياً أو اجتماعياً، ويتجنبون التجمعات ويميلون إلى العزلة حتى أصبحوا انطوائيين، وذلك لأن الصداقة غالباً تكون قائمة على أساس المعاملة بالمثل والحب المتبادل، والتوافق بين الفرد وأصدقائه. كما أوضحت الدراسات وجود علاقة دالة بين الصداقة الحميمة والتوافق النفسي والاجتماعي على السواء (Sebanc, 2003).

علاوة على وجود دراسات مقارنة بين مجموعات من الأصدقاء هدفت إلى المقارنة بين الشباب المنتمين لأصدقاء والمنعزلين، من حيث التوافق النفسي والاجتماعي، وقد بينت أن الأشخاص المنخرطين في مجموعات من الأصدقاء لديهم توافق أعلى بكثير من غيرهم غير المنتمين إلى أصدقاء (Berna, Cornelis F, et al 2007). ومع ذلك فقد أجريت دراسات على الطلاب المتسمين بسلوكات البلطجة لمعرفة مدى توافقهم النفسي والاجتماعي، فأوضحت أن بعضهم متوافقين نفسياً فيما بينهم، وراضين بسلوكاتهم العدوانية، بينما لم يظهر أي توافق اجتماعي، وأنهم ساخطين على المجتمع برغم الألفة التي تجمعهم (Sebanc, 2003). وقد بينت الدراسة التي قامت بها كارلين وآخرون (2007) لمعرفة مدى تأثير الآباء والأقران على تكيف الأبناء النفسي والاجتماعي في مرحلة المراهقة، وقد بينت النتائج أن الأشخاص الذين نشئوا في ظل الأسرة المكونة من الأب والأم معاً كانوا أكثر توافقاً من غيرهم الذين يعيشون مع الوالد فقط أو الأم فقط، بسبب الانفصال، أو بسبب الوفاة، كما أن المعاملة الوالدية السيئة كانت سبباً في حصول المفحوصين على درجات منخفضة على مقياس التوافق، وقد امتد تأثير الأسرة على أبنائها في مدى علاقتهم بأصدقائهم.

ويرى المؤلف أن هذه النتائج تتوافق تمامًا مع ما قاله "فروم" من قبل من أن الأسرة ومن ورائها المجتمع مسئولة عن التنشئة الاجتماعية للفرد، وأن الصحة النفسية للفرد رهن بتوفير معاملة متوازنة مشبعة بالحب والاحترام والحنان في الأسرة. ومن أهم عوامل إحداث التوافق النفسي المباشرة تحقيق مطالب النمو النفسي في جميع مراحلها، وفي مرحلة المراهقة يجب تكوين علاقات جديدة طيبة ناضجة مع رفاق السن من الجنسين، ونمو الثقة في الذات، والشعور الواضح بكيان الفرد، وتقبل المسؤولية الاجتماعية، وامتداد الاهتمامات إلى خارج حدود الذات، وضبط النفس بخصوص السلوك الجنسي، وتكوين المهارات والمفاهيم اللازمة للاشتراك في الحياة المدنية للمجتمع، ومعرفة السلوك الاجتماعي المقبول الذي يقوم على المسؤولية، واكتساب قيم مختارة ناضجة تتفق مع الصور العملية للعالم الذي نعيش فيه.

وعن التوافق الاجتماعي أجرى بارك Park (2006) دراسة عن علاقة التدين بتقييم الضغوط التي تواجه الفرد، وأساليب المواجهة لتحقيق التوافق الاجتماعي، وقد ظهرت ارتباطات دالة موجبة بين التدين وأساليب مواجهة الضغوط النفسية والتوافق الاجتماعي. وقد توصل كلا من هامبل وبيترمان Hampel & Petermann (2005) إلى أن المراهقين يستخدمون استراتيجيات غير توافقية مثل السلوك العدواني للتعامل مع الضغوط بدرجة أعلى من استخدامهم للإستراتيجيات التوافقية من التجاهل أو الحديث والتعليقات الإيجابية مع الذات مما يسبب لهم سوء التوافق مع الآخرين.

أثر سلوكيات البلطجة على البلطجي والضحية

إن العواقب السلبية للبلطجة بالنسبة لكثير من المراهقين تمتد إلى مرحلة ما بعد المراهقة. ومن المشكلات المتعلقة بالبلطجة كان القلق والاكتئاب والسلوك الانتحاري (Olweus, 1993). وعلى الرغم من انتشار الاكتئاب بصفة عامة بين المراهقين، إلا أن النسبة تزداد بين المراهقين الضحايا الذين يتعرض لهم البلطجي.

كما أن سلوكيات البلطجة لها أثر سيء وضار على كل من البلطجي والضحية على السواء، على الرغم مما قد يبدو للبعض أن عواقبها وخيمة على الضحية فقط، بينما الواقع يثبت عكس ذلك تمامًا، إذ بينت الدراسات أن العواقب السيئة للبلطجة تقع على البلطجي نفسه، ففي دراسة أوليوس (Olweus, 1993) أن ارتفاع معدل التسرب من التعليم كان من نصيب البلطجية والضحايا على حد سواء، فإذا كان الضحايا يتسربون من المدرسة خوفًا من البلطجية، فإن البلطجية يتسربون من المدرسة لعدم اهتمامهم بالتعليم، وانشغالهم بالحق الأذى للآخرين.

كما ناقشت الأدبيات آثار سلوكيات البلطجة بشكل منفصل من حيث ارتباطها بثلاث مجموعات من الأفراد: البلطجية، والضحايا، والبلطجية الضحايا. وتبين تأثير الجميع في صحتهم الجسدية والنفسية وتوافقهم الشخصي والاجتماعي فضلاً عن تحصيلهم الأكاديمي. وعند المقارنة بين البلطجية وضحاياهم ثبت أن الضحايا الذين يتعرضون للإيذاء المتكرر يشعرون بتدني احترام الذات، وارتفاع مستوى القلق والاكتئاب، والمشكلات الأكاديمية،

والتفكير في الانتحار، وارتفاع مستويات انعدام الأمن، والشعور بالوحدة والحزن، فضلاً عن الأعراض الجسدية والعقلية.

بينما تبين أن الطلاب البلطجية أكثر تعرضاً للانخراط في السلوك المعادي للمجتمع والتغيب عن المدرسة والجنوح وتعاطي المخدرات، وخاصة في مرحلة المراهقة، وبالتالي فهم أكثر تعرضاً للاضطرابات النفسية (Gini & Pozzoli, 2009). كما أن الأولاد الذين يتعرضون للبلطجة من قبل الآخرين بما يعادل أربع أو خمس مرات يكونون أكثر عرضة للانتحار من غيرهم.

إن البلطجة لها عواقب وخيمة على الضحية، فلها تأثير سيء على الحالة البدنية كما أن تأثيرها النفسي أسوأ بكثير، حيث يتدنى احترام الذات، وينتشر الاكتئاب. كما أن المشاركة في البلطجة على الآخرين يؤدي إلى تنشئة اجتماعية وسط مجموعة من الأقران الجانحين التي تشارك في سلوكيات لا قيمة لها. وتشير الأبحاث إلى أن ضحايا البلطجة بالإضافة إلى أنهم يشعرون بالاكتئاب فإنهم يعانون من الشعور بالوحدة.

وهناك العديد من الأسباب التي تجعل الاهتمام كبيراً بهذه المشكلة في الوسط المدرسي. حيث يشير Olweus & Limber (1999) إلى التأثيرات قصيرة المدى وبعيدة المدى على الضحية سواء في الجانب التعليمي أو الجانب النفسي أو الاجتماعي، وكذلك على الأفراد الذين يقومون بأعمال البلطجة، وبالإضافة إلى ذلك فإن اهتمامنا بالمشكلة من دور المدرسة في تحقيق الترابط الاجتماعي بين أعضائها وكذلك دورها كمؤسسة تعليمية، ويمكن طرح هذه التأثيرات في النقاط التالية:

(أ) التأثيرات قصيرة المدى على الصحة: تجعل خبرات البلطجة الضحايا

يشعرون بعدم السعادة، والضيق والارتياح وفقدان تقدير الذات والقلق وعدم الأمان. علاوة على ذلك فإن مثل هؤلاء التلاميذ يعانون من الإصابة الجسمية وقد يتأثر تركيزهم وتعلمهم، وقد يرفضون الذهاب إلى المدرسة، ويميلون إلى الشعور بالحياء والخجل وعدم الجاذبية ويبدؤون في النظر إلى أنفسهم على أنهم فاشلون. وفي بعض الأحيان يرى مثل هؤلاء التلاميذ أن الانتحار هو السبيل الوحيد.

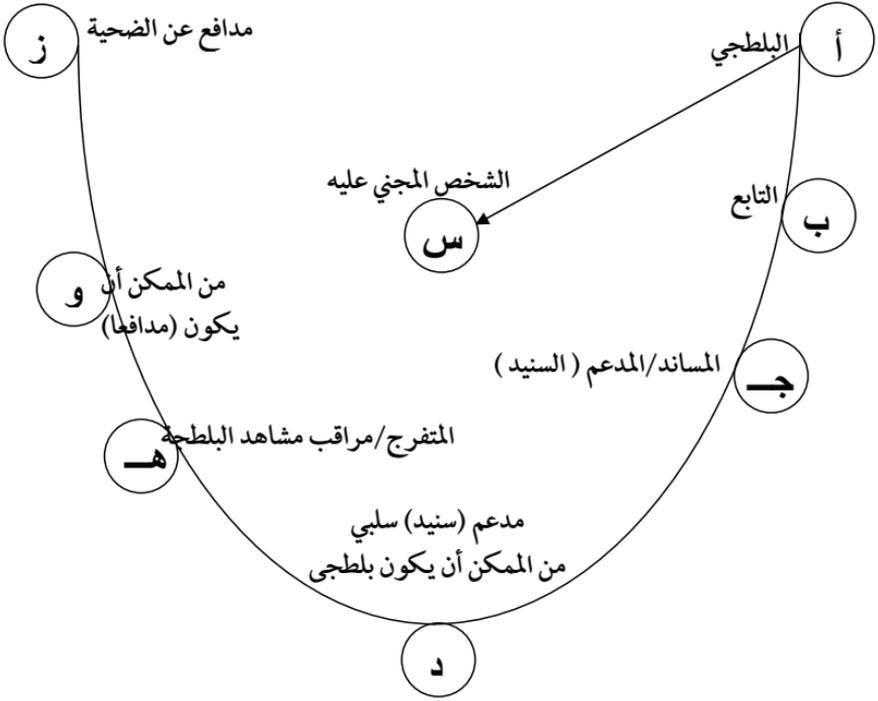
(ب) التأثيرات طويلة المدى على الضحايا: الأطفال الذين يتعرضون للبلطجة أثناء سنوات الدراسة المبكرة يميلون إلى الانفعال وامتلاك تقدير ذات ضعيف عندما يصلون لسن الشباب.

(ج) التأثيرات طويلة المدى على الأفراد الذين يقومون بأعمال البلطجة: تؤكد الأبحاث أن التلاميذ الذين يقومون بأعمال البلطجة لديهم اتجاهات إيجابية نحو العنف وخصوصاً كوسائل لحل المشكلات أو للحصول على ما يريدون، ويميلون إلى القيام بسلوكات أخرى جانحة وسلوكيات مضادة للمجتمع مثل السطو على المحال التجارية، والإهمال في المدرسة، واستخدام المخدرات، والتخريب المتعمد للممتلكات.

(د) المناخ الاجتماعي للمدرسة: في المدارس التي تتميز بمستويات عالية من مشكلات البلطجة يميل التلاميذ إلى الشعور بأمان أقل كما أنهم لا يشعرون بالرضا عن الحياة المدرسية التي يعيشونها. ويؤكد ذلك بالنسبة للعديد من التلاميذ وخاصة الضحايا أن حجرة الدراسة لهم تعد مكانا للعمل والتعلم.

وقد يكون للمناخ المدرسي الذي يتميز بوجود مشكلات عديدة بسبب البلطجة تأثيرات أخرى سلبية. فمن الطبيعي أن نفترض أن معظم التلاميذ في المدرسة أو الفصل يتأثرون بالمشكلات النابعة من العلاقات بين البلطجي والضحية، فعلى سبيل المثال إذا شاهد تلميذ سلوكاً بلطجياً يمر دون رقابة، فإن هذا قد يؤدي به إلى النظر إلى سلوك البلطجة على أنه مقبول. وبمرور الوقت قد يؤدي ذلك إلى شيوع مناخ اجتماعي أكثر قسوة وأقل تعاطفاً. وعلى العكس من ذلك، فإن حجرات الدراسة والمدارس التي يسودها المناخ الاجتماعي الإيجابي والود، تؤدي إلى استنباط وتشجيع أنماط ردود أفعال مختلفة لدى التلاميذ.

ولهذا فمن الضرورة عند وقوع أعمال بلطجة من أحد التلاميذ أن نشرك التلاميذ الآخرين حتى نضمن التأثير في وجهات نظرهم تجاه سلوك البلطجة. ويصوّر الشكل التالي الأدوار المختلفة والاتجاهات ذات الصلة بها التي يتبناها التلاميذ الآخرون في المدرسة أو الفصل تجاه موقف بلطجة صريح، ويمكن أن نطلق على ذلك اسم دائرة البلطجة.



شكل (2): دائرة البلطجة

حيث:

- (أ) هو الذي يبدأ بأعمال البلطجة وله دور فعال.
- (ب) له دور فعال في البلطجة ولكنه لا يبدأ بفعل.
- (ج) يساند/يدعم وليس له دور في أعمال البلطجة.
- (د) يجب البلطجة ولكنه لا يظهر مساندة صريحة.
- (هـ) يشاهد ما يحدث ولا يأخذ موقف، يعتقد أنه ليس من شأنه التدخل.
- (و) يكره البلطجة ويعتقد أن عليه أن من الواجب تقديم المساعدة، ولكنه لا يساعد.
- (ز) يكره البلطجة ويساعد أو يحاول أن يساعد الضحية.

الفصل السابع

رؤية علاجية لسلوكيات البلطجة

قام المؤلف بإعداد وتصميم برنامج علاجي لعلاج سلوكيات البلطجة،
يستند إلى أسلوب تعديل السلوك Behavior modification وفنيات
السيكودراما Psychodrama.

أهداف البرنامج

الهدف العام

يهدف البرنامج إلى توظيف فنياته في علاج سلوكيات البلطجة بعد أن انتشرت هذه السلوكيات في معظم المراحل العمرية المختلفة، وخاصة في مرحلة المراهقة، حيث انتقلت سلوكيات البلطجة بصورها المختلفة من الشوارع والميادين إلى ساحات المدارس وخارج أسوارها. كما يهدف البرنامج إلى الحد من الميول إلى سلوكيات البلطجة، ويتحقق ذلك من خلال:

1. زيادة المعرفة والوعي بسلوكيات البلطجة.
2. تعزيز مهارات احترام الذات، والعلاقات البينشخصية للتعامل مع سلوكيات البلطجة.
3. تطوير استراتيجيات تساعد على تمكين الأشخاص (التمكين بمثابة الحافز للأداء الشخصي، أي امتلاك الفرد للقوى والمهارات التي تساعد في السيطرة على حياته، والقدرة على مساعدة الآخرين، ومهارات القيادة الجماعية، والقدرة على التنظيم).
4. حشد الأشخاص للتفاعل الاجتماعي الإيجابي عن طريق الشبكة الإلكترونية.
5. تعزيز المرونة الإيجابية Resilience.

ومن الهدف العام للبرنامج تنبثق أهداف فرعية تتمثل في الآتي:

1. إكساب المتدربين بعض التدريبات من أجل خفض حدة سلوك البلطجة.

2. حث المتدربين على استخدام هذه التدريبات في كافة أنشطة حياتهم اليومية حتى تصبح طريقة تعاملهم مع أحداث الحياة مستقبلاً.
3. تنمية القدرة على تحمل المسؤولية من خلال التكاليف المنزلية.
4. تنمية القدرة على التفاعل والتواصل الإيجابي مع الآخرين.
5. تكوين اتجاهات إيجابية نحو المشاركة الاجتماعية الفعالة مع الآخرين.
6. التنفيس عن بعض المشاعر السلبية والميول العدوانية من خلال لعب الدور.
7. تنمية الإحساس بالآخر من خلال عكس الدور.
8. تعريض المتدربين لمواقف قصصية ودرامية هادفة تؤكد على السلوكات السوية، وتعمل على تعديل سلوكات البلطجة.
9. الاعتماد على أسلوب الحوار والنقاش حول سلوكات أبطال القصص والمواقف الدرامية التي يشارك فيها المتدربين.
10. العمل على تقوية الذات بتكامل الشخصية حتى يصبح لدى الفرد قوة إيجابية للنمو المناسب المشبع للذات.
11. إكساب المتدربين علاقات اجتماعية مع الآخرين، ومن خلال الاتصال الاجتماعي بالآخرين تظهر مشكلات التوافق والعمل على تقويمها.
12. تحسين التوافق النفسي بتقارب السلوك مع مفهوم الذات، حتى يجد مفهوم الذات الداخلي تعبيراً خارجياً مناسباً.

13. تنمية القدرة على تقييم الذات بالنسبة للواقع المعاش، وبالتالي يفهم الفرد ويستكشف نفسه والآخرين.

14. تنمية الثقة في الذات لدفع مفهوم الذات من منطقة الظل إلى منطقة النور، وتوجيه السلوك بطريقة شعورية ذات غرض وهدف واضح.

الأسس التي يقوم عليها البرنامج

أولاً: أسس عامة

1. مراعاة الثبات النسبي للسلوك الإنساني، والتشابه بين الماضي والحاضر والمستقبل. وأن السلوك الاجتماعي Social behavior من أعقد أنماطه، وأن سلوكيات البلطجة متعلمة عن طريق عملية التنشئة الاجتماعية. لذا يركز البرنامج على إعادة التعلم عن طريق فنياته المختلفة مثل النمذجة.

2. التأكيد أثناء الجلسات على ممارسة تدريبات لتنمية الناحية الاجتماعية، وتدريبهم عقلياً وترويضهم سلوكياً، وذلك بحكم مرونة السلوك الإنساني وقابليته للتغيير والتعديل.

3. مراعاة أن سلوك الفرد وهو وحده يبدو فيه تأثير الجماعة، وسلوكه وهو مع الجماعة تبدو فيه آثار شخصيته وفرديته. ولتعديل السلوك يتم مراعاة الأدوار الاجتماعية للمتدربين، والاتجاهات، وبخاصة نحو المؤسسة التعليمية، وكذلك المعايير الاجتماعية Social norms لتحديد الصحيح من الخطأ، وما هو جائز وغير جائز، لتحديد السلوك المتوقع في المواقف الاجتماعية.

4. قبول المتدربين كما هم وبدون شروط وبلا حدود، فلا مجال لإصدار أحكام على السلوك والخبرات، لتحقيق علاقة إرشادية طيبة تتيح الثقة المتبادلة.

5. التأكيد على المعتقدات الدينية؛ لأنها تعتبر ضوابط للسلوك، ومعايير مقدسة محددة له.

ثانياً: أسس فلسفية

يتم التأكيد من خلال جلسات البرنامج على أن الفرد يجب أن يكون سلوكه صحيحاً يؤدي إلى ما يحقق حريته وأمنه، وحرية وأمن الآخرين، وأن حرية الفرد ليست مطلقة، بل تنتهي حدودها عند حرية الآخرين. ويجب مراعاة أن الإنسان خير بطبعته، يتميز بالعاطفة الدينية، وأنه مُخبر في سلوكه وله إرادة حرة، ومن ثم فهو مسئول عن سلوكه.

ويُعد السلوك العادي هو المعيار الذي يتم في ضوءه الحكم على السلوك إذا كان مقبولاً أو غير مقبول، هذا السلوك العادي هو الذي يتسق مع معايير المجتمع وعاداته وقيمه، ويكون السلوك غير العادي هو الذي يخرج عن هذا الإطار. وتكون عملية تعديل السلوك الإنساني متدرجة وتتكون من خطوات مرحلية، ويستخدم عدد من الاستراتيجيات والفنيات، ومستحدثات تكنولوجيا مثل الكمبيوتر والإنترنت والهواتف المحمولة.

ثالثاً: أسس نفسية وتربوية

تنوعت الفنيات والأساليب المستخدمة في البرنامج مراعاة لمبدأ الفروق الفردية Individual Differences حيث لكل فرد عالمه الخاص وشخصيته الفريدة التي تميزه عن بقية الأفراد، فهو يختلف عن غيره بسبب سماته الموروثة وخصائصه المكتسبة، وحاجاته وقدراته وميوله. ويؤكد البرنامج

على الاهتمام بمطالب النمو Developmental Tasks للمتدربين مثل: تقبل التغيرات التي تحدث نتيجة للنمو الجسمي والفسولوجي والتوافق معها، وتكوين علاقات جديدة طيبة من رفاق السن، وتقبل المسؤولية الاجتماعية، وضبط النفس بخصوص السلوك الجنسي. كما يهتم البرنامج باستغلال الإمكانيات العقلية إلى حد كبير عن طريق فنية التعقل Mindfulness، وتوسيع دائرة الميول والاهتمامات والهوايات، وتنمية المهارات الاجتماعية التي تحقق التوافق الاجتماعي السوي، والعمل على إشباع الحاجة إلى الأمن والانتماء والتقدير والحب والعطاء.

محتوى البرنامج

يقوم البرنامج على المزج بين فنيات تعديل السلوك وأسلوب السيكودراما. إن مصطلح تعديل السلوك إنما يعني استخدام وتوظيف أساليب وفنيات تغيير السلوك بصورة إمبريقية، أي عملية، بغرض تحسين سلوك الفرد، والوصول به إلى وضع أفضل من ذلك الوضع الذي يميزه في الوقت الراهن. ويركز هذا الأسلوب على السلوك الظاهر واستخدام الإجراءات العلمية التي يمكن تطبيقها بسهولة والتحقق من فعاليتها موضوعياً، لذلك فهو يعتمد على المنهجية التجريبية.

عرف الإنسان منذ القدم أساليب كثيرة في تعديل السلوك، وقد أشار القرآن الكريم إلى مجموعة من الأساليب العلاجية التي يمكن استخدامها في تعديل السلوك، ومن ذلك ما ورد بشأن نشوز المرأة، حيث قال تعالى: ﴿وَاللَّيْئِيَّاتُ مَخْفُونَ نُسُوزَهُنَّ فِعْزُهُنَّ وَآهْجُرُهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَأَضَرُّوهُنَّ ۗ فَإِنْ أَطَعْنَ لَكُمْ فَلَائِيَّاتٌ عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا كَبِيرًا ۗ﴾ [النساء: 34]. وقد اشتملت الآية على أسلوب عقلي معرفي هو «الوعظ»، وعلى أسلوبين من أساليب تعديل السلوك هما: أسلوب العقاب السلبي «الهجر»، وأسلوب العقاب الإيجابي «الضرب».

ويندرج تعديل السلوك تحت المنهج الذي يعتمد في تناوله للسلوك المضطرب على أساس من نظرية التعلم، حيث يتعلم الإنسان ويستجيب بطريقة شاذة لبيئته إلى أن يتحول هذا الشذوذ إلى عادة، وأن ما يتعلمه الشخص يمكن أن لا يتعلمه، أو أن يتعلم أساليب أفضل منه، أي أن سلوك

الإنسان قابل للتعديل والتغيير، وفي هذا الصدد يقول النبي ﷺ: «حَسُنَا أَخْلَاقَكُمْ»، والتحسين الأخلاقي يتفق تمامًا مع أبسط تعريفات التعلم، حيث يعرف التعلم بأنه سلسلة من التغيرات في سلوك الإنسان.

ويتم تطبيق إجراءات تعديل السلوك بثلاثة أشكال رئيسة هي:

1. إجراءات زيادة احتمالات ظهور سلوك مرغوب فيه.
2. إجراءات تشكيل سلوك جديد.
3. إجراءات خفض احتمالات ظهور سلوك غير مرغوب فيه.

فمن الإجراءات التي تستخدم في زيادة احتمالات ظهور سلوك مرغوب فيه هو استخدام التعزيز بتصنيفاته وأنواعه، أما الإجراءات التي تستخدم في تشكيل السلوك فتشمل ضبط المثير والتلقين والإخفاء والتشكيل والنمذجة، أما إجراءات خفض احتمالات ظهور سلوك غير مرغوب فيه فهي ما تعرف بالعقاب وبدائله مثل: الإطفاء والإجراءات التي تستند إلى التعزيز والممارسة السلبية وتغيير المثير والتوبيخ والإقصاء.

أسس تعديل السلوك

ترتكز مناهج تعديل السلوك على عدة محاور تمثل النظريات الرئيسة للتعلم هي:

التعلم الشرطي الكلاسيكي

يطلق على هذا النوع من التعلم اسم نظرية المثير والاستجابة، وهي تتخذ من نظريات «بافلوف» Pavlov الدعامة الرئيسة لكل ما تحويه من قواعد وقوانين، وقد استطاع «واطسون» Watson أن يطوع القوانين العلمية المستمدة من نتائج هذه الدراسات لوصف ظواهر سلوكية عديدة (عبد الستار إبراهيم وآخرون، 1993، 51). وترتكز هذه النظرية على أن الفرد يستجيب نحو الأشياء إذا أصبح ظهورها مرتبط بمنبهات أخرى تشبع حاجاته أو تهدد إشباعه لهذه الحاجات، ويكون سلوك البلطجة هو استجابة اكتسبها الشخص بهذا الشكل حتى تحولت إلى عادة.

كما أن السلوك الذي اكتسبه الشخص سواء كان البلطجي أو الضحية يمكن أن يتلاشى وهو ما يعرف بالانطفاء Extinction وذلك عندما تختفي الرابطة بين المنبه الأصلي والمنبه الشرطي، فالشخص الضحية لسلوكات البلطجة من أشخاص آخرين يتعرضون له عند ذهابه للمدرسة يمتنع عن ذهابه للمدرسة، وإذا تكرر ذهابه للمدرسة دون أن يتعرض له بلطجي ستنتفي وتلاشى مخاوفه تدريجياً، حتى إذا عادت تلك الرابطة بين المنبه الشرطي (المدرسة) والمنبه الأصلي (البلطجي) فإن المخاوف ستعود من جديد وبقوة.

الاشتراط الإجرائي

وضع أسس هذا التعلم «سكينر» Skinner وهو يقوم على قاعدة أن السلوك هو حصيلة ما يؤدي له من نتائج وآثار، وأن تقوية جوانب معينة من السلوك تتوقف على ما يتبع هذا السلوك من نتائج إيجابية كالتدعيم أو المكافأة، أو سلبية كالعقاب. وتتضمن هذه النظرية عدداً من المبادئ مثل التعزيز والعقاب والتشكيل.

(أ) التعزيز:

هو التقوية والتدعيم والإثابة والتثبيت. والسلوك يتعلم ويقوى ويدعم ويثبت إذا تم تعزيره. والاستجابات المعززة تميل إلى التكرارية والزيادة في حدوثها، وتصبح لها جذورها كاستجابات عادية وشائعة في سلوك الشخص وعاداته (روبرت د. ناي، 2003، 115). ويشمل التعزيز المكافآت والحوافز المادية، أو منح الشخص هدية مناسبة، أو إشراكه في رحلة مدرسية، وكذلك المعنوية كالمدح والابتسام والتربيت على الكتف، والاهتمام بأحواله، نظرات الإعجاب والتقدير. وتجدر الإشارة إلى أن السلوكيات المتجاهلة أو التي لا تعزز تميل إلى عدم تكرارها لحاجتها إلى ما يقويها.

(ب) العقاب:

هو تقديم منبه مؤلم إثر ظهور سلوك غير مرغوب فيه. ويعتقد «سكينر» أن تأثير هذا الأسلوب محدوداً، وأنه وسيلة غير مرغوب فيها للتحكم في السلوك وضبطه؛ لأن النتيجة الشائعة للعقاب هي القمع Suppression على الأقل مؤقتاً لنوع السلوك الذي يسبقه، ورغم ذلك فإن كثيراً من العقاب

المقصود لا يحقق هذا الهدف، فالطالب الذي يحول إلى المشرف أو مدير المدرسة قد يحصل على إعجاب رفاقه في الفصل لكونه عنيف وشجاع، وكذلك البلطجي في الشارع الذي يرى نظرات الإعجاب من أصدقائه.

(ج) التشكيل:

يستخدم عندما نريد أن نعلم سلوكاً مركباً يصعب تعلمه دفعة واحدة، فيقسم السلوك المركب إلى خطوات صغيرة، وكلما تم إنجاز خطوة صغيرة دعمت إلى أن نصل للهدف النهائي.

التعلم الاجتماعي

ركزت نظرية التعلم الاجتماعي كما صاغها «باندورا» Bandura على القدوة ومشاهدة الآخرين وهم يقومون بسلوكاتهم، أي التعلم بالملاحظة أو النمذجة الذي يعد نغماً أساسياً للتعلم (محمد السيد عبد الرحمن، 2000، 109). أي أن التعلم الاجتماعي هو تعلم من خلال المواقف الاجتماعية والتفاعل معها، ويكون التركيز على العلاقات الشخصية المتبادلة بين الملاحظ والنموذج.

التعلم المعرفي

ترى نظريات التعلم المعرفي أن الناس لا يتعلمون فقط من خلال القواعد التشرية أو التعلم الاجتماعي، بل وأيضاً من خلال التفكير في المواقف، ومن خلال إدراكاتنا وتفسيراتنا للحوادث التي نمر بها. وتوجد أربعة أبعاد رئيسية يجب الانتباه لها عند التعامل مع المشكلات النفسية وهي: الكفاءة

أو القصور المعرفي، أي المهارات والقدرات الخاصة والذكاء. مفهوم الذات وما نحمله من اعتقادات خاصة عن إمكاناتنا الشخصية وقدراتنا. القيم والاتجاهات التي نتبناها عن المواقف أو الأشخاص الذين نتفاعل معهم. التوقعات التي نتبناها عند التفاعل مع المواقف الخارجية تحدد نوع المشاعر التي تتابنا في هذه المواقف وشدتها واستمرارها (عبد الستار إبراهيم وآخرون، 1993، 58 - 59).

وتجدر الإشارة أنني أضفت إلى فنيات تعديل السلوك أسلوباً من خارج إطار الفنيات المتعارف عليها، وذلك بعد أن أثبتت فعاليته في علاج سلوكيات البلطجة في كثير من البحوث الأجنبية، وكذلك في الدراسة الحالية، وهو أسلوب التعقل Mindfulness

وهو عبارة عن الوعي الذي يمكن الفرد من أن يظل متيقظاً للحقيقة الحاضرة، وتوجيه الانتباه بطريقة محددة عن قصد إلى اللحظة الحالية وبدون تقييم، مما يرسخ في النفس الصبر والرأفة، والتحرر من القيود القبلية على نحو يعمق فيه الفرد القدرة على الضبط الذاتي، والسعي دائماً إلى تعديل التصور الذاتي للخبرة المعاشة (هبة سامي، 2012). وعلى الرغم من وجود تدخلات متنوعة للحد من سلوكيات البلطجة إلا أن نتائجها كانت محدودة مقارنة بنتائج أسلوب التعقل عند استخدامه لحفض حدة البلطجة، وترميم الشروخ التي طرأت على شخصية الضحية (Zachary Carofolo, 2012).

والتدريب على التعقل ثبتت فعاليته للحد من سلوكيات البلطجة من خلال الاهتمام بالمسترشدين وتشجيعهم على تدريبات التعقل التي تساعدهم على الحد من السلوك المتهور، واكتساب سلوكيات أكثر حكمة. لقد تم دراسة

وممارسة مفهوم التعقل على مدى آلاف السنين ضمن ممارسة التأمل البوذية، وقد تطورت أساليب العلاج التي تستند إلى التعقل، والذي يتكون من الوعي والانتباه والتقبل والتأمل، كأسلوب علاجي للمشكلات النفسية والسلوكية. حيث يعكس الوعي بالرحمة والرأفة تجاه أنفسنا والآخرين، علاوة على أن التأمل ليس شيئاً يقوم به الفرد لمدة 30 أو 40 دقيقة كل صباح ثم نسيان الأمر، بل يحتوي على مبدأ الوعي الذي يمكن الفرد من أن يمارسه في كل لحظة من حياته.

وقد بينت الدراسات أن التعقل يولد شعوراً جديداً بالذات، حيث يعتمد على ميكانيزمات أساسية هي: كف الاستجابات النمطية الأوتوماتيكية التي تصدر دون النظر إلى الحدث في إطاره الجديد الذي يحدث فيه.

كما يعتمد التعقل على توجيه الانتباه والتحكم فيه. بالإضافة إلى أنه شاهداً محاييداً على الخبرة المعاشة في اللحظة الحالية، الأمر الذي يؤدي إلى صياغة جديدة للأفكار والمشاعر والأحاسيس التي تنتاب الفرد (هبة سامي، 2012). وتجدر الإشارة إلى اختلاف التعقل Mindfulness عن الاسترخاء Relaxation حيث الاسترخاء هو الجلوس في وضع مريح، وأن يركز بصره على نقطة لامعة أو إغلاقهما، أما في التعقل يركز المتدرب انتباهه على نحو متعقل، كما أن التعقل لا يتطلب تهدئة المتدرب لععضلاتهم، فإذا كان هناك ألماً أو توتر عضلي في مكان ما بالجسم فعلى المتدرب فقط ملاحظة وجود توتر أو ألم.

السيكودراما

أسلوب علاجي نفسي جماعي تستخدم فيه عناصر فن المسرح أو العرض المسرحي في العلاج النفسي، وتتوفر فيه المقابلة والمحاضرة وتعتمد على نشاط تمثيلي للمشاركين، بحيث تكون هذه المواقف التمثيلية معبرة عن الصراعات الداخلية للفرد، للخروج من حيز اللاشعور إلى حيز الشعور، ويصبح الفرد مستبصراً بمشكلاته. والمسرح شكل من أشكال التعبير والتواصل الإنساني، يعتمد على التواصل ما بين مؤدٍ يقوم بدور المرسل، ومشاهد يستقبل موضوع الموقف الدرامي. هذه الجوانب التعليمية التي يوظفها المؤلف المسرحي سعياً إلى تعديل اتجاهاتهم ورؤاهم تجاه المشكلة التي يتعرض لها في خطابه الدرامي بمثابة الدرس التعليمي الذي يستهدف فكر ووجدان المشاهد.

هذا الأسلوب العلاجي ابتدعه يعقوب مورينو Moreno في فيينا سنة 1921، وأنشأ أول مسرح علاجي لتقديم السيكودراما سنة 1927 بالولايات المتحدة الأمريكية. ويرى «مورينو» أن السمة الأساسية لهذا العلاج هي حرية الفعل للممثلين، والتدريب على التلقائية، وفي هذا الأسلوب يجعل المعالج الأشخاص يقبلون على التمثيل وإظهار مشاعرهم أمام المشاهدين، حيث يعبر بحرية عن الاتجاهات العميقة والدوافع القوية والصراعات والإحباطات.

وترجع أصول السيكودراما إلى آلاف السنين قبل مورينو، حتى أن مورينو نفسه يورد واقعة يقول فيها أن عالم الأجناس «أجنسكي» Aginsky بعدما عاد من رحلة علمية في قرية من قرى الهنود الحمر بالولايات المتحدة

الأمريكية تسمى البومو Pomo Indians بالقرب من كاليفورنيا، قال أنه شاهد موقفاً يشبه تماماً ما يحدث في السيكودراما التي يقوم بها «مورينو»، فقد أحضر رجلاً مريضاً أثناء عمله بالحقل، وحضر الساحر ومساعدته، وسألوا عما أصاب الرجل، فقيل لهما أنه عانى من الخوف عندما التقى بنسر متوحش لم يره في حياته، وعلى الفور قام الساحر ومساعدته بتمثيل ما حدث للرجل بالضبط كما سمعاه، حيث قام الساحر بدور النسر وهو يحوم حول المريض كي يدرك أن الطائر غير مؤذ، وأن خوفه لا مبرر له، فأخذ المريض يستعيد قوته تدريجياً (حسين عبد القادر، 1974).

وتجدر الإشارة إلى أن استخدام هذا النهج في معالجة مشاكل المجتمع كان بزوغها على يد العرب، فقد كان في زمن المهدي في الدولة العباسية من يدعى «بشر بن عوف» الذي كان يخرج إلى ظاهر بغداد في يومي الاثنين والخميس ليجتمع بالناس ويقوم بينهم متسائلاً عن هذه المشكلة أو تلك، قائلاً: ماذا لو كان فيكم أبو بكر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ فماذا أنتم فاعلون؟ فيقوم واحد من المشاهدين ويلعب دور أبو بكر، وتناقش المشكلة، ثم يثني بعمر -رضي الله عنه- ويتبعه ببقية الخلفاء الراشدين، ويتبع في كل مرة ما تبعه في الأولى.

لقد استخدم هذا الأسلوب العلاجي «ابن سينا» (980 - 1073م) في علاج فتى أصيب بمرض نفسي، واعتقد أنه قد صار بقرة، وكان يقول أذبحوني، وامتنع عن الطعام والشراب فساءت حالته، فجاء بن سينا في ثياب قصاب (جزار) ومعه رجلان وفي يده سكين وقال: أروني البقرة كي أذبحها، فخار الفتى حوار البقرة، وشد وثاق الفتى بعد أن اضطجع على جانبه، ثم أمسك بن سينا بجنبه وقال: إن هذه البقرة هزيلة ولا تصلح للذبح، قدموا لها العلف

حتى تسمن ويمكن ذبحها، ووضع له الدواء في الطعام، وفي خلال شهر كان قد شفي (حسين عبد القادر، 1974). وقد أنشأ «مورينو» مسرحه على التلقائية والتعبير الذاتي الحر والفوري عن النفس من خلال اللعب الخيالي الطفولي، فقد قدمت أفكاره وتصوراته عن الحرية إمكانية الحفاظ على مبدأ اللذة والسرور الكامن في خيال الأطفال، ومع ذلك فقد يكون استجابة عصبية إلا أنه في نفس الوقت مصدر للعبقرية في مستوى من مستوياتها (Blanter, 1995).

وخلاصة القول أن السيكدوراما أسلوب جماعي يعتمد على وجود الفرد داخل الجماعة، حيث تتيح هذه الجماعة الفرصة له بالتعبير التلقائي في صورته المتعددة مثل التعبير اللفظي والأدائي بالحركة والفعل، فيتم التنفيس الانفعالي والاستبصار الذاتي بالمشكلات التي يدور حولها الموقف المسرحي. فعندما يؤدي الفرد دورًا خاصًا داخل جماعة العلاج التي يشعر بينها بالأمان، فإنه سوف يكشف عن نماذج لاشعورية، وانفعالات غير مريحة، وصراعات عميقة، وأفكار ذات معنى لحياته، ومن ثم تظهر هذه النماذج الداخلية على أدائه الخارجي، وبالمناقشة وتطبيق تقنيات السيكدوراما يمكن للفرد أن يحصل على وعي واستبصار جديدين يعملان على زيادة وضوح رؤية البدائل التي تساعد على العلاج.

مبادئ السيكدوراما

1. التلقائية Spontaneity

يعرفها «مورينو» بأنها الاستجابة للمواقف الجديدة بطريقة مناسبة،

والاستجابة للمواقف القديمة بأساليب جديدة. كما أن قدرًا من التلقائية التي تصدر عن الشخص في مواقف مختلفة يعد دليلاً على الصحة النفسية mental health والكفاءة الاجتماعية social competence والعلاقات البينشخصية. ويؤكد "مورينو" أن الإبداع طاقة كامنة تحتاج إلى ما يدفعها ويحركها، وما يدفعها هي التلقائية التي هي المبدأ الأساسي للسيكودراما. فالتلقائية والإبداع بينهما ارتباط وثيق، فالتلقائية نبت الحاضر: هنا والآن، إنها الطاقة التي تدفع الفرد إلى الاستجابة الصحيحة في موقف لم يخضه من قبل، بينما الإبداع ثمرة خالصة بمساعدة التلقائية، وكأن التلقائية تيسر مادتها.

التلقائية هي المحرك للنشاط الإبداعي، وإذا ما وضعت على خط تخيلي يمثل الاستمرارية، فلسوف تكون تلك التلقائية على طرف والتوتر والقلق على الطرف الآخر من ذلك الخط التخيلي، وإذا تخيلنا مرتكزاً وسط هذا الخط، ستعنى زيادة درجة التوتر انخفاض التلقائية والعكس صحيح؛ لأن العلاقة بينهما كالأرجوحة ترتفع وتنخفض بالجلوس على أحد طرفيها، وعموماً وجب التفريق بين الاندفاعية والتلقائية؛ لأن الاندفاعية تفتقر إلى الإبداع كليةً وهي كالمستجير من النار بالرمضاء، فقد تتكون لدى فرد ما فكرة إبداعية دونما تلقائية ومن ثم لا يتمكن من تنفيذها عملياً ولا تتحقق واقعياً، وغالبًا ما يتحقق الفعل الإبداعي في صورة قصيدة، سيمفونية، لوحة تشكيلية، مسرحية، كل هذه الصور هي تلك التي اصطلاح عليها مورينو «بالموروث الثقافي»، وفي لحظة انتهائها ينتهي الفعل الإبداعي، وقد تفقد تلك الصور خاصتها الإبداعية إذا فقدت التلقائية منها.

ويذكر ماسلو Maslow أنه لكي تكون طريقة السيكودراما أكثر فاعلية

فإن درجة كبيرة من الحرية والتلقائية يجب أن تتحقق من جانب المريض، وليس معنى ذلك أن تكون الحرية كاملة، وإنما يقوم المعالج بدور الموجه الذي يحصل على المعلومات من أعراض المريض ومشكلاته، ثم يقرر بعد ذلك أي جانب يستحق أن ينال أكبر قدر من الاهتمام، وعندما يعبر عن نفسه في موقف ما فإن الأنا المساعد يسلك على نحو مماثل بحيث يعبر عن تلك المواقف والانفعالات والمشاعر التي لم يكن المريض على وعي بها.

2. الموقف: Situation

يمكن للإنسان أن يطور من تلقائيه بأكثر قدر من الفاعلية في الموقف السيكودرامي، مثل العفوية والتلقائية في التدريب على التقنيات السيكودرامية، فيتم تلاشي الحواجز الطبيعية قدر الإمكان كالوقت والمكان، بحيث يكون كل شيء على المسرح السيكودرامي يحدث هنا والآن، فلا وجود لماضي أو مستقبل في الموقف السيكودرامي، أما مخاوف المستقبل ومشكلات الماضي فإنها جميعاً تحدث هنا والآن لتحقيق أكبر قدر من التلقائية.

3. البعد: Tele

كلمة Tele إغريقية معناها «من على بعد» أو من على مسافة أو بعيد، فالتأثير عن بعد يأخذ مكاناً كجزء من التلقائية بين شخصية أو أكثر في المواقف السيكودرامية، والمقصود الجاذبية والرفض واللامبالاة التي تحدث بين الناس، وهي معنى ولب التفاعل مع الآخر، بمعنى حساسية الشخص لآخر كما لو كانا مر بوطنين بسلسلة روح واحدة، و Tele هي التي تجذب أطراف

العمل المسرحي العلاجي لبعضهم البعض، وأيضاً هي التي تنفرهم من بعضهم البعض. وهنا فإن معظم طرق التواصل تحوي مزجاً بين (الطرح) وبين Tele لكن هدف السيكودراما هو تقليل الطرح (المشاعر التي يطرحها المعالج على معالجه) وإعلاء التواصل الأصيل (Greenberg, 1975: 19).

4. التفرغ أو التنفيس: Catharsis

التفرغ أو التنفيس هو الهدف المنشود من العلاج السيكودرامي وصولاً إلى الاستبصار بالمشكلة لكي يمكن حلها وعلاجها؛ لأن الفرد يشجع من خلالها على أن يتوحد مع مشكلات الآخرين، وبهذه الطريقة يجد الأشخاص غير القادرين على الفرار من العزلة الاجتماعية من خلال العلاج بالسيكودراما جزء من العلاقة القائمة بين الممثلين المشاركين في العمل الدرامي، ومن ثم يحدث تعلم للسلوك؛ لأن القوة المبالغ فيها من الآخرين تصبح قوة معدلة للسلوك وذلك حين تمثل المواقف المتعددة والمتباينة التي تحيط بالمشكلة التي تطوقها.

5. الاستبصار: Insight

قد يحدث الاستبصار في نفس وقت التنفيس، أو بعد تجربة التنفيس، ويحدث عندما يناقش الممثلون والجمهور ما حدث في الموقف السيكودرامي، ويشاركون بمشكلاتهم المرتبطة بمشكلة المريض (Greenberg, 1975: 20).

الفرق بين العلاج بالسيكودراما والعلاج بالدراما

يقول كمال الدين حسين (2015، 77) إن المجالين قد يثيران بادئ الأمر الكثير من الاضطراب والتشويش الفكري تجاههما لوجود عناصر

مشتركة بينهما، وأكثر الجوانب تشابهاً بين العلاج بالسيكودراما والعلاج بالدراما يتركز حول دور الدراما في كل منهما، ويمكن معرفة ذلك من خلال التعريفات الخاصة بهما، فتعريف العلاج بالدراما كما وضعته الجمعية البريطانية للعلاج الدرامي «هو استخدام ذو هدف لكل من الدراما والمسرح وما يرتبط بهما من تقنيات من أجل تحقيق أهداف علاجية تؤدي إلى إزاحة الأعراض النفسية والاجتماعية، وخلق تكامل في النمو الانفعالي والفيزيقي والشخصي». أما السيكودراما فعرفها مورينو بأنها "أسلوب علمي يكتشف الحقيقة بأساليب درامية، وأن هذا الأسلوب يرتبط ويتعامل مع العلاقات الشخصية الداخلية والعوامل الخاصة للمرض".

ومن خلال التعريفين نلاحظ ارتباط كل منهما بالدراما، وهناك نقطتان أساسيتان لفهم الاختلاف بينهما، الأول الذي يتخذه كل منهما كعلاج جماعي، والثاني المحاولات العلاجية. فالبطل هو محور العلاج الجماعي داخل الجماعة السيكودرامية، وبمجرد أن يتم تحديده يتم توزيع الأدوار الثانوية على المجموعة، والتي تكون أدوارهم إلى حد كبير انعكاس لعالم البطل الداخلي. بينما العلاج بالدراما وإن كان التركيز قد يكون على فرد واحد طوال الفترة المخصصة للعلاج لكن يفضل في أكثر الأحيان أن يوزع التركيز بحرية حول كل المجموعة، هذا الخلاف يمكن فهمه بمفهوم السياق الجمعي، أي شبكة العلاقات النفسية، والتي تشكل الخاصية العقلية المميزة للجماعة وليس بين أفرادها فقط، وكلما تطورت الحالة إلى شبكة من العلاقات الأكثر تداخلاً تطور من جهة أخرى تحديد الأفراد لأنفسهم ودخولهم علاقات أكثر دينامية.

وفي سياق العلاج بالدراما يقترح المعالج هذه المواقف وترتيب الجماعة بها، ومن خلال ذلك تنفجر الحالة بواسطة تفاعل كل الأفراد. أما في السيكودراما فيجب أن يستثار اهتمام الجماعة عن طريق المواقف والموضوعات التي يختارها البطل أو الشخصية الرئيسة والتي تجذب إليها اهتمامات الجماعة ككل.

أما بالنسبة للتقنيات العلاجية فإن الاختلاف الرئيس ينبع من الحقيقة التاريخية أن السيكودراما صدرت عن رجل واحد هو "مورينو" مع بعض التطورات التي قامت بها زوجته Zerka في حين يعود العلاج بالدراما إلى تنوعات من الاستخدام والتوظيف لكثير من التقاليد الدرامية والمسرحية مثل: الطقوس ورواية القصة، واللعب الدرامي، وتدريبات الممثل. فإذا كانت السيكودراما محدودة في تقنياتها فالدراما أرحب في الوسائل.

وعن التشابه بين الدراما والسيكودراما فإنه يدور حول الدراما في كل منهما، فالدراما أساس في كل منهما، ويوضح كمال الدين حسين (2015)، (79) أن التعبير الدرامي يكون من خلال الجسد، فعندما يعبر الإنسان عن الفعل الدرامي بالحركة يكون ذلك من خلال مستوى فيزيقي، وهو ينشأ نتيجة لقوة كبيرة من العالم الداخلي للفرد، ويكون التعبير الفيزيقي مدخلاً للتعرف على الانفعالات والعالم الداخلي للفرد. يوجد أيضًا ارتباط بين الجسد واللاشعور، حيث الأعراض والمظاهر الجسدية تعكس نفسها باعتبارها تواصل مع الأثر الداخلي. هذا ما يحدث في كل من الدراما والسيكودراما حيث يعملان من خلال الخبرات والممارسات الجسدية على تصعيد الانفعالات وخبايا اللاشعور.

أيضاً من أوجه التشابه ما يعرف بالفراغ العلاجي أو المساحة العلاجية، وهي المساحة التي يمكن من خلالها تقبل الوهم، فيتم استخدام الذاكرة، والخيال، في وجود الفراغ الدرامي الذي يسمح بحرية التعبير والتفسير، هذا الفراغ يعمل كجسر بين العالم الداخلي والخارجي، فالموضوع موجود في العالم الخارجي، لكنه يتحول إلى موضوع داخلي له دلالاته ورموزه في العالم الداخلي للفرد.

عناصر السيكودراما

البطل:

هو الذي يقوم بالدور الرئيس على خشبة المسرح، يعرض مشكلته في إطار علاقاته الاجتماعية بالآخرين، ويقوم البطل باستعراض عالمه الخاص، وليس المطلوب منه أن يكون ممثلاً، وله مطلق الحرية في أن يعبر عن نفسه كما يشاء، وله أن يقول أو يفعل كل ما يخطر بباله دون قيود، ويكون هذا التعبير لفظياً وغير لفظياً، والبطل هو أول من يقوم بالأداء كعضو في الفريق، ويقوم بتحديد جانب من حياته يرغب أن يتحدث عنه، ويقوم الموجه من خلال البطل بالكشف عن المشاهد التي تعطي أمثلة للمشكلة في الوقت الحاضر أو في الماضي أو يحتمل أن يعيشها في المستقبل.

الموجه:

هو الذي يدير الجلسة السيكودرامية، وهو يهتم بتهيئة الأفراد للجلسات، ويساعدهم على تحديد المشكلة، ويختار الممثلين، ولا بد من تحديد عدد

المقابلات، ومدة المقابلة، وعمومًا هو الموجه والمعالج والمخرج. ويجب أن يكون المعالج فطنًا في إسناد الدور إلى الحالة، فعليه أن يتفادى فشل الحالة واحتمال انهياره على المسرح إذا ما دفع به مرة واحدة على تمثيل موقف عنيف، وإذا رأى المعالج أنه قام بها بنجاح جعله يتدرج في القيام بأدوار يمثل فيها مواقف أكثر عنفًا.

والموجه له ثلاث وظائف أساسية، فهو المخرج، والمساعد العلاجي، والملاحظ التحليلي. فهو المخرج من حيث إنه منظم للموقف السيكودرامي، ويلعب دور المشجع في الجماعة، ويستمر في ملاحظة أفرادها وخطوات كل منهم خلال العرض الدرامي، وهو مساعد علاجي من حيث إنه يساعد المريض على تطوير المشهد الذي يقوم به، ويشجعه على التلقائية والابتكارية والتطهر كما أنه يساعد على تحقيق الاستبصار والوصول إلى معنى الخبرة، وكما لاحظ تحليلي فإنه يقف عند فعل معين ويسعى إل التأكيد على أداء أدوار معينة، ويكون حاضرًا مع الجمهور للتأكد من تحقيق التأثيرات العلاجية التي يمكن اكتسابها من الخبرة، وعمومًا الموجه هو المعالج ومخرج ومرشد ومرب ومحلل ومفسر وناصح، وهو إطار العميل أو المريض أو البطل المرجعي، ومهمته تحويل كل ما يمكن أن يكون قد عرفه سابقًا عن العميل إلى فعل دراماتيكي من شأنه تبصير البطل بمشكلته.

الأنوات المساعدة:

الأنوات المساعدة امتداد لدور الموجه في موقف العلاج، ووظيفتها تسهيل وتيسير عملية عرض المشكلة، وتقوية وتكثيف المعنى والمغزى المراد من تهيئة المواقف الينشخصية وتجسيد هذه المواقف من واقع خبراتها

الخاصة، أو بطريقة معينة من إعدادها، وقد تتحدد وتتقيد أدوار الأنوات المساعدة لكي تساعد وتعين النجم في أن يصبح أقل تشتتاً.

وتساعد الأنوات المساعدة البطل على أداء دوره، ومن ثم يسمح باستخدامها بظهور عملية الطرح، بحيث يمكن رؤية الانفعالات المكبوتة في لعب الدور السيكودرامي في شكل اتجاهات عدائية قد تساهم في التعرف على المشكلات الانفعالية التي يعانها المريض والتي يقوم باخترانها في اللاشعور (صفاء غازي، 1992). ويرى حامد زهران (1997، 292) أنهم زملاء البطل من المرضى، ويقومون بدور الأعضاء الغائبين الذين يلعبون دوراً هاماً في حياة المريض مثل الإخوة والأخوات أو الزوجة أو الرئيس، أو... إلخ.

وعموماً فالأنوات المساعدة هم الممثلون الذين ينوبون عن أشخاص غائبين ولكن لهم وجود في عالم المريض الخاص، وفي الوقت نفسه هم امتداد للمدير (الموجه) في حوارهم مع المريض، كما أنهم امتداد للمريض نفسه من حيث إنها تساعد على تصوير مواقفه الداخلية تجاه الآخرين المهمين في حياته، وعادة ما يختار المريض هؤلاء الأنوات المساعدة الذين قد يكونون مرضى أو معالجين Therapists أو مدرسين أو غير ذلك من الجمهور، وإن كان في كثير من الأحيان من الجمهور أنفسهم. ويجب أن تشترك الأنوات المساعدة في المراحل العميقة مع المريض، وفي الوقت نفسه تكون في حالة تأهب للتكيف مع سلوكه وفقاً لإشاراته اللفظية والجسمية التي تصدر منه، فضلاً عن تقبلها لتوجهات المدير.

الجمهور:

عنصر جوهرى من عناصر السيكودراما، ويرى «مورينو» أنه لا ينبغي

أن ينظر إلى جماعة السيكودراما باعتبارها مجرد جمهور، وإنما يتعين النظر إليها باعتبار أن سلوكاتها كجماعة علاجية تعد انعكاسًا للنماذج التي يقومون بأداء أدوارها في الحياة الواقعية، أي أن الجمهور في السيكودراما ليس مجرد مشاهدين فقط، إنما هم مشاركون إيجابيون أثناء الجلسات السيكودرامية من خلال التدخل بالرأي والنقد والاقتراحات.

ومسئولية الجمهور ذات شقين: الأول أنها تخدم البطل في تفاعله وتدعمه لما يحدث في كل مرحلة. والثاني استجابة الجمهور وتعليقاته تعكس مدى قبول أو رفض ما يصدر عن البطل من قول أو فعل. وتتباين الآراء في عدد الجمهور في السيكودراما، إذ ترى إجلال سري (1990، 133) أن العدد الأمثل يتراوح بين 3: 15، بينما يرى أحمد عكاشة (1998، 124) أن العدد المناسب يتراوح بين 5: 15 فرد، في حين يرى خليل فاضل أن عدد أفراد المجموعة يتراوح بين 6: 17 فرد.

خشبة المسرح:

يرى «مورينو» أن خشبة المسرح ليست ضرورية، فمن الممكن أن تجرى الجلسة السيكودرامية في أي مكان يوجد به العملاء (مستشفى، أو مدرسة، أو حجرة في المنزل)، إلا أن خشبة المسرح تساعد على خلق الجو المناسب للجلسة (Margarita Pileckaite, 2005). ويصف حسين عبد القادر (1974) المسرح السيكودرامي بأنه مسرح بلا ستائر أو كواليس، يسمح للممثل بأن يكون تلقائيًا في أداء أدواره غير المتعلمة، وقد يكون في أي مكان مفتوح. بينما يرى لويس مليكة (1998، 100) المسرح السيكودرامي دائريًا يخلو من كل أساس فيما عدا كرسي أو اثنين، ويترب على شكل

ثلاث دوائر، تحيط الدائرة الخارجية الكبرى بدائرتين داخليتين وهي منخفضة عنهما إلى مستوى الأرض، وذلك لتشجيع الحركة بحرية والتعبير عن مختلف المستويات.

ولأن السيكودراما مبنية على الحياة في حد ذاتها، فالمسافة التي يتحركها شخص تعتبر معادة مرة ثانية على خشبة المسرح، فلو كانت المحادثة تدور حول المطبخ مثلاً، نقوم بتصوير أو وصف المناضد والكراسي وإعطاء حيز تخيلي للشباك والباب والثلاجة و... إلخ. وكذلك التوقيت، ليل أو نهار، إن إعداد خشبة المسرح بهذا الشكل يساعد على أن تكون على مستوى الحدث الذي يدور، وتثير بداخل الفرد المشاعر المتعلقة بالمكان، مما يزيد التلقائية ويعمل على التنفيس الانفعالي لديه.

نموذج من جلسات البرنامج

الجلسة الأولى

عنوان الجلسة: جلسة افتتاحية.

الأهداف: التعارف بين المعالج أو الأخصائي النفسي أو القائم بالمهمة والمشاركين في البرنامج، وكذلك بين أفراد المجموعة بعضهم البعض.

الإجراءات: السعي إلى تشكيل بيئة داعمة تسمح بإتمام العمل المجهز له في الجلسات المقبلة، ويكون ذلك من خلال التعارف المتبادل بين المعالج وأفراد المجموعة من ناحية، ومن ناحية أخرى بين أفراد المجموعة بعضهم البعض، من أجل بناء جو من التفاعل يتسم بالألفة والود. وتجدر الإشارة إلى أهمية بناء هذه العلاقة حتى ولو استغرق ذلك وقت الجلسة الأولى بالكامل، ولا بد من توضيح بعض الحقائق للمشاركين بالفعل والقول والعمل مثل: أن العلاقة بين المعالج والمشاركين طول مدة البرنامج ليست كعلاقة المدرس والتلميذ بما تتضمنه من معان السيطرة والخضوع، أو أن أحد الطرفين يُعلم والآخر يتعلم. كما أنها ليست علاقة صداقة؛ لأنها ليست علاقة الند بالند. ولا علاقة بين أب وابن لانعدام الروابط العاطفية العميقة.

ويحاول المعالج دومًا أم يكون عادلاً وشجاعًا، وأن تكون علاقته بالمشاركين علاقة وجدانية محدودة لا يندمج فيها اندماجًا تامًا، بل يحاول أن يكون حساسًا بالقدر الذي يحتاج إليه المشاركون، ويجب أن يركز على عدم المبالغة في عبارات التقدير أثناء الجلسات؛ لأن ذلك يجعل العلاج لا فائدة

منه. كما يجب الاهتمام بالتعبير عن المشاعر بقبوله كل ما يقوله المشارك من حقائق دون مراعاة المبادئ الخلقية، أو الأحكام الاجتماعية حتى يستطيع المشارك أن يدرك أن جميع المشاعر والإحساسات يستطيع أن يعبر عنهما بصراحة ووضوح مهما تكن عدوانية أو مخالفة للقواعد العامة.

وعلى المعالج عدم فرض رغباته أو مبادئه أثناء الجلسات، بل يكون بعيداً كل البعد عن كل ما يفهم منه معنى الإكبار حتى يعيش المشارك في جو يستطيع فيه أن يعبر عن دوافعه وتصرفاته، وأنه في غير حاجة لحماية نفسه من الهجوم.

الجلسة الثانية

عنوان الجلسة: تقديم البرنامج.

الأهداف: تقديم أهداف البرنامج وقواعد المشاركة فيه - تعريف مناسب للبرنامج، والمكاسب الإرشادية المتوقعة منه - جمع بيانات أساسية عن المشاركين في البرنامج - الاتفاق على سير العمل أثناء الجلسات، والتأكيد على سرية المعلومات، وليس لأحد أن يطلع عليها.

الإجراءات: يقوم المعالج بتقديم أهداف البرنامج وقواعد المشاركة فيه، ويهتم بالرد على استفسارات المشاركين، وإظهار الرغبة الجادة في مساعدتهم جميعاً من أجل تنمية الجوانب الإيجابية لديهم، والحد من الجوانب السلبية، كما يتم الاتفاق على ضرورة الالتزام بمواعيد الجلسات، أيضاً يتم الاتفاق على قواعد السلوك بين المشاركين أثناء الجلسات وحلقات المناقشة، وأن هذا البرنامج يحتوي مميزات تفاعلية مثل استخدام العقوبات عندما يتم كسر

القواعد، ويتم عمل استفتاء بينهم جميعاً للإقرار بتنفيذ البرنامج والالتزام بقواعده والاهتمام بالواجبات المنزلية. يمكن الاستعانة بالنموذج التالي:

اختبر معلوماتك عن سلوكيات البلطجة:

وهو مكون من عشرة بنود، وتكون الإجابة إما صواب أو خطأ، ثم تفسير الإجابات للمشاركين.

النموذج: صواب خطأ

1. الذكور فقط بلطجية.
2. نشر الشائعات شكل من أشكال سلوكيات البلطجة.
3. البلطجي يعاني من انعدام الأمن وانخفاض في تقدير الذات.
4. تحدث البلطجة غالباً في عدم وجود الزملاء.
5. يتميز البلطجي بزيادة القوة عن الضحية.
6. ينبغي على الضحايا تجاهل سلوكيات البلطجة.
7. الأطفال سوف تتفوق في سلوكيات البلطجة في الكبر.
8. سوف أخبر عن البلطجي إلا أن يجعل ذلك الأمر أسوأ.
9. غالباً يتدخل المعلمون لوقف سلوكيات البلطجة في المدارس.
10. لا يمكن فعل شيء في المدارس للحد من سلوكيات البلطجة.

تصحيح الإجابات وتفسيرها:

1. (خطأ) البلطجة الجسدية أكثر شيوعاً بين الذكور، بينما تنتشر

- البلطجة اللفظية والسيرية (عبر الإنترنت) بين الذكور والإناث على السواء.
2. (صواب) نشر الشائعات والنبذ والعزل والتسبب في الحرج والتابذ بالألقاب والسخرية، جميعها أشكال للبلطجة، وعواقبها خطيرة على المدى الطويل.
3. (خطأ) العديد من البلطجية لهم شعبية كبيرة ومكانة بين الآخرين، ومع ذلك لديهم تقدير ذات متوسط، وافتخار بسلوكهم العدواني، وافتخار بالسيطرة على ضحاياهم الأقل منهم قوة. وعموماً البلطجة هي شكل من أشكال التبحج والصلابة العاطفية.
4. (خطأ) تحدث سلوكيات البلطجة داخل المدارس في وجود الزملاء وبشكل جماعي، أي أن الشخص البلطجي يعمل في فريق داخل المدرسة، كما أنه يفرض سيطرته عندما يكون وحده بعيداً عن زملائه فقط على شخص أضعف منه أو أصغر منه سنًا أو حجماً.
5. (صواب) يختار الشخص البلطجي عادة ضحيته ممن هم أصغر منه سنًا، أو أضعف منه جسديًا، ولكن أحياناً يتساوى البلطجي والضحية في القوة، ويكون الاختلاف في حمل البلطجي للسلاح واستعماله في الاعتداء على الضحايا.
6. (خطأ) البلطجة هي انعكاس لخلل في ميزان القوة، فلا يستطيع ضحايا البلطجة أن يوقفوا بلطجة الآخرين من تلقاء أنفسهم، بل يحتاجون إلى مساعدة جهات عديدة مثل: المعلمين والإدارة المدرسية والزملاء، والشرطة إذا لزم الأمر. وتجاهل البلطجية من قبل الضحايا والأقران

والمعلمين يرسل رسالة خاطئة إليهم مفادها أنهم يواصلوا القيام بدورهم دون حرج، أما الضحايا الذين لديهم مقدرة على المقاومة فيستطيعون إصلاح الخلل في ميزان القوة.

7. (صواب) من الملاحظ انتشار نسبة البلطجة في مرحلة الإعدادية وما قبلها وإن اختلفت الأساليب، أي أن الاستعداد موجود، فمن لم يقوم سلوكه فمن المرجح أن ينمو سلوك البلطجة معه ويتفاقم إلى العنف والجنوح، ويتحول إلى سلوك مزمن.

8. (خطأ) الساكت عن الحق شيطان أخرص. فإذا شاهدت أحدهم يتعرض للبلطجة من آخرين فلا بد وأن تخبر المسؤولين داخل المدرسة، حتى وإن كنت أنت نفسك الذي تتعرض لهذه المشكلة؛ لأن ذلك يساعد في الحد من انتشار ذلك السلوك.

9. (خطأ) بينت الدراسات أن تدخل المعلمين لوقف سلوك البلطجة لا يتعدى 14% داخل الفصول الدراسية، بينما يتم التدخل بنسبة 4% فقط في ملعب المدرسة في الوقت الذي يجهل فيه العاملون بالمدرسة عموماً ما يحدث بين البلطجية وضحاياهم.

10. (خطأ) يذكر أن التدخلات على مستوى المدارس في جميع أنحاء العالم قد نجحت في تخفيض نسبة البلطجة بدرجة كبيرة، وكانت معظم هذه التدخلات ناجحة خصوصاً في المدارس التي تعتمد على عناصر متنوعة مثل: المعلمين، والموظفين، وأولياء المور، وأفراد المجتمع.

الجلسة الثالثة

إن موضوع البلطجة معقد وهو ما أكدت عليه الآراء المختلفة، فالبعض يرى أنها بلاء مجتمعي، والبعض الآخر يراها كابوس صامت، وهناك من يعتبر ذلك أمر طبيعي، ولذلك فإن استجابات المؤسسات (قد تكون المؤسسة مدرسة أو غير ذلك) المختلفة للمشكلة أيضًا مختلفة، وقد تبين وجود أربعة مواقف تتبناها المؤسسات نحو البلطجة:

□ الإنكار: لا توجد مشكلة.

□ النموذج: حيث توجد سياسة في مكان ما.

□ التحرك: حيث التفكير الجيد من خلال السياسات والممارسات.

□ الدفع للأمام: حيث تتوفر سياسات وممارسات واضحة يعلمها الجميع.

ومن السهل الوصول للمرحلة الرابعة ولكن ليس كل المؤسسات ترى أن ذلك ضروريًا لتحقيق التغيير الجذري لثقافتهم، فربما تحتاج هذه المرحلة إلى العمل بشكل تدريجي مع الأشخاص وترغيبهم في أن يكونوا جزء من البرنامج، وتحمل المسؤولية لمكافحة البلطجة.

نشاط:

الأدوات المستخدمة: أوراق بحجم كبير وأقلام، قائمة من الأسئلة مطبوعة على ورق أو شفافيات، ونسخًا من جدول المراحل الأربع لتطوير المؤسسة في التعامل مع البلطجة. مع التيسير في توزيع نسخ الجدول بين الفريق في مجموعات صغيرة، وتسجيل النتائج على ورقة كبيرة.

1. في أي مرحلة ترى أداء هذه المؤسسة حاليًا؟
2. ما هي المرحلة المطلوب الوصول إليها؟
3. إذا كان هناك فرق بين (1) و(2) فما الذي تراه لتحقيق (2)؟
4. ما هي الآثار المترتبة على وجهات النظر المختلفة؟

بعد ذلك تعرض وجهات النظر المختلفة، وردود الأفعال من حيث الاتفاق والاختلاف في الرأي، ومن خلال ذلك يستخلص ثلاثة مفاتيح رئيسة تحتاج إلى معالجة.

المراحل الأربع لتنمية المؤسسة في التعامل مع البلطجة

<input type="checkbox"/> توجد سياسة في مكان ما، كتبها شخص منذ وقت مضى. <input type="checkbox"/> البلطجة ليست مشكلة في هذه المؤسسة، ولكن ينظر إليها على أنها شيء عادي. <input type="checkbox"/> ينبغي التحرك حيال هذه المشكلة ولو بالقليل. <input type="checkbox"/> الحديث حول منهجنا المستخدم في مكافحة البلطجة يعني ضمناً الاعتراف بالمشكلة، وهي بذلك دعاية سيئة للمؤسسة.	الإنكار
<input type="checkbox"/> هناك سياسة كتبها شخص متخصص. <input type="checkbox"/> قلة من الناس يعرفون ما يقولون، ولكن الكثير يتوفر لديه النقاش حول البلطجة. <input type="checkbox"/> أحد الخبراء هو الذي يتعامل مع هذه القضية وكان مبدعاً كقوة دافعة وراء سياسة مكتوبة.	النموذج
<input type="checkbox"/> تؤخذ القضية على محمل الجد، وضرورة المراجعة المنتظمة للسياسة المتبعة والتي تتضمن تقديم المشورة والدعم. <input type="checkbox"/> الممارسات الوقائية في المكان.	التحرك

<p>□ التركيز على الموظفين ككل من الممارسة الفعالة.</p> <p>□ سبل المعالجة معروفة للكبار والصغار في المؤسسة (شفافية).</p>	
<p>□ المؤسسة لها سياسة واضحة وممارسات معروفة تساعد على الإبداع والشعور بملكيتها.</p> <p>□ المراقبة الذاتية من خلال جمع البيانات باستمرار، وعلى الرغم من اعتراف الجميع بوجود بلطجة داخل المؤسسة فإن فريق العمل يعمل على مكافحتها باستمرار عن طريق التعديل المستمر وإعادة النظر والتجريب.</p> <p>□ الوقاية من أشكال وصور البلطجة جزء من البرنامج الذي يركز على إشراك وتمكين الجميع في لعب دور إيجابي في المؤسسة واتخاذ قرارات حكيمة في جميع مراحل حياتهم.</p> <p>□ الوقاية من البلطجة تكون مترادفة ومروجة لروح وأخلاقيات الجميع الذين يراعون قيم المؤسسة ويحترمونها بعضهم البعض.</p>	<p>الدفع للأمام</p>

الجلسة الرابعة

عنوان الجلسة: تنظيم التنفس والاسترخاء المنظم.

الأهداف: تدريب المشتركين على تنظيم التنفس والاسترخاء بطريقة منظمة حتى يتمكنوا من التخفيف من الاضطرابات الانفعالية والقلق، خاصة وأن التوتر العضلي الشديد يضعف قدرة الفرد على التوافق.

الإجراءات: تكون البداية بإلقاء محاضرة مصغرة على المشاركين يبين فيها ما هو تنظيم التنفس، والاسترخاء العضلي وأهميته والفوائد المرجوة منه. وتجدر الإشارة إلى تقسيم تدريبات الاسترخاء إلى جزئين: الأولى منها تتم

استخدامها في المراحل الأولى من التدريب، وهي تعتمد على القيام بإرخاء وشد أعضاء الجسم حتى يستطيع الفرد أن يطّلع مباشرة على إمكان القيام بالتحكم في عضلات الجسم، ومن ثم إرخائها في الوقت المناسب. بينما الثانية الاسترخاء العميق، ويتم استخدامها بعد اكتمال التدريب على الاسترخاء بالطريقة الأولى القائمة على الشد والإرخاء، فيكون الاسترخاء العميق لكل عضلات الجسم بشكل تصاعدي، كما يتم التركيز على إثارة الإيحاء بالاسترخاء.

يبين للمشاركين أن الاسترخاء العضلي ما هو إلا طريقة للتخفيف من التوترات النفسية والقلق، لهذا نجد أنه بمجرد الاسترخاء العادي بالرقاد على أريكة يؤدي إلى آثار مهدئة ملحوظة، والسبب في ذلك أن هناك علاقة واضحة بين مدى استرخاء العضلات وحدوث تغيرات انفعالية مضادة للقلق. ويمكن الإشارة إلى حديث النبي -صلى الله عليه وسلم- "إن الغضب جمرة توقد في القلب، ألم تروا إلى انتفاخ أوداجه وحمرة عينيه؟ فإذا وجد أحدكم من ذلك شيئاً فإذا كان قائماً فليجلس، وإن كان جالساً فليضطجع". ثم تتوجه للمشاركين بالتعليمات الآتية:

استلق في مكانك وفي وضع يكون مريح لجسمك كله بقدر استطاعتك، إغمض عينيك واصغ إليّ، سأنبهك الآن إلى بعض الإحساسات والتوترات في جسمك، وسأبين لك بعدها أنه باستطاعتك أن تقلل منها وأن تتحكم فيها. خذ شهيقاً عميقاً إلى أن تشعر بامتلاء صدرك وبطنك بالهواء، ثم احتفظ بالهواء داخلك لفترة (10 - 15) ثانية تقريباً، ثم أخرج الهواء في شكل زفير من فمك ببطء. ثم تبدأ التدريب بالذراعين ثم الكفين ثم الكتفين، وهكذا. وتستهدق تدريبات الاسترخاء مساعدة المدرب على التمييز الواضح

بين حالة التوتر العضلي وحالة الاسترخاء، بحيث يصبح قادرًا في النهاية على ممارسة التحكم الإرادي على الجهاز المسئول عن التوتر والاسترخاء.

يطلب من الشخص أن يجلس في وضع مريح، وأن يركز بصره على نقطة لامعة، ثم يبدأ بتوجيه من المعالج بإرخاء أعضاء جسمه عضواً عضواً، بأن يطلب منه في البداية أن يغلق راحتي اليدين بكل قوة وإحكام، وأن يلاحظ التوترات والانقباضات التي تحدث في مقدمة الذراع كمقياس للتوتر، ثم يطلب منه فتحها بعد ثوان معدودة واضعاً إياهما في مكان مريح ملاحظاً ما يحدث في عضلات مقدمة الذراعين من استرخاء وراحة عامة في الجسم كله. وهكذا ينتقل المعالج بالشخص إلى مختلف أعضاء جسمه بدءاً من القدمين ومروراً بالساقين والخصدين، وعضلات البطن والصدر والوجه والفم والرقبة. توتر ثم إرخاء حتى يصل الفرد خلال ثلاث أو أربع جلسات إلى التحكم الكامل، واكتساب القدرة على الاسترخاء.

الجلسة الخامسة

عنوان الجلسة: القدوة.

الأهداف: توفير فرص تعلم جيدة للمشاركين تساعدهم على اكتساب المعارف والمهارات والتوجهات اللائقة لبناء علاقات إيجابية.

الإجراءات: في هذه الجلسة تستخدم فنية النمذجة، وهي تتضمن تغيير سلوك المتدرب نتيجة ملاحظته سلوك شخص آخر هو النموذج أو القدوة. حيث تقدم النمذجة مواقف يمكن فيها للمتدرب تعلم سلوك جديد، أو الإقلال من سلوك البلطجة دون حاجة إلى الممارسة أو التدعيم المباشر.

ويمكن الاستعانة بمجموعة من الأفلام التي تناقش قضية البلطجة مثل: فيلم «التوت والنبوت» ومناقشة دور البلطجي (الفتوة) وبلطجته على الآخرين، وكيف أن البلطجي يحتمي بمن حوله، وكيف كانت نهايته، وأن الجزء من جنس العمل. ويمكن التركيز على أحداث الفيلم وملاحظة سلوك شخص آخر (عزت العليلي) لا يروقه سلوكات البلطجة التي يمارسها البلطجي أو الفتوة ورجاله على الناس، وكيف استطاع أن يحشد الناس ضده، واستخدام قوته في عمل الخير. ويقدم السؤال التالي لأفراد المجموعة:

هل حاولت هذه الأفلام أن تعكس المشكلات الاجتماعية في البلاد؟ وتناقش إجابات المجموعة. أيضاً يشار إلى أفلام أخرى تناقش قضية البلطجة مثل فيلم: تيتو، والألماني، وعبد مودة، وإبراهيم الأبيض، وكيف تقدم هذه الأفلام مادة مثيرة تجذب الجماهير، وأنها تقدم البلطجي بطريقة معينة حتى يتعاطف معه الجمهور مثل المظاهر البطولية الزائفة في عمليات المطاردة والهروب من الشرطة، والتي يتوحد معها الشخص بحثاً عن الذات السراية التي يحقق من خلالها حالة من الاتزان النفسي التي يفشل في تحقيقها رمزياً.

يركز المعالج على الأصدقاء كنهاذج اجتماعية لتعلم العديد من الخبرات والمهارات وضرور السلوك الإيجابي، والقيم الأخلاقية، وكيفية مواجهة الضغوط الاجتماعية. وهو ما أكد عليه باندورا من أن الناس تتعلم أساليب السلوك وتغيرها من خلال ملاحظة الآخرين.

وفي إطار التعلم بالافتداء يهتم بخصائص الشخص الذي يميل الأشخاص إلى محاكاته كما ذكرها «باندورا» Bandura ومن هذه الخصائص: التماثل في العمر والجنس والمستوى الاجتماعي والاقتصادي. ويجب الأخذ في الاعتبار

أن التدعيم الاجتماعي أحد مسيرات الاقتداء، فقد يتزايد تقليد السلوك عندما يشاهد المشاركون بعضهم يتلقى الدعم عقب إصداره السلوك المرغوب فيه.

ويجب مناقشة أفراد المجموعة لملاحظاتهم الذاتية لسلوكاتهم حتى يتبين لهم أن الانخراط مع أصدقاء منحرفين ممن يمارسون سلوكات بلطجة سواء داخل المدرسة أو الشارع، ويتعاطون مواد نفسية تؤثر على الأعصاب مثل: الحشيش وعقار الترامادول، كل ذلك يزيد الاستهداف وخاصة في مرحلة المراهقة، فهؤلاء الأقران مدعمون لسلوكات البلطجة، الأمر الذي يترتب عليه زيادة احتمالات تكرار هذا السلوك في المواقف المماثلة. لذلك ينصح المشاركين بالابتعاد عن هؤلاء مدة تطبيق البرنامج على أقل تقدير.

الجلسة السادسة

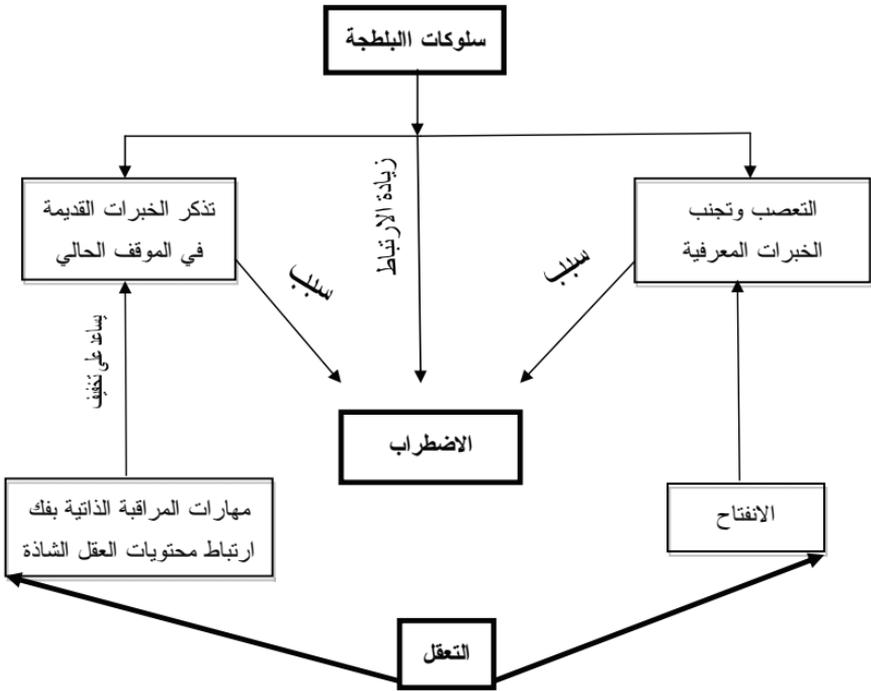
عنوان الجلسة: التنظيم الذاتي.

الأهداف: تعريف المشاركين معنى التعقل وما يحتويه من تدريبات تأملية - تدريبهم على كيفية الانتباه إلى شيء واحد في الوقت الواحد - التدريب على استخدام منهج التعقل في الأنشطة اليومية.

الإجراءات: يتم إلقاء محاضرة يبيّن من خلالها المعنى المقصود من «التعقل» وتفسيره ومكوناته التي تتمثل في: الوعي والانتباه والتقبل والتأمل، وكيفية الانتباه للخبرة الآتية، وكيفية توجيه الإمكانيات إلى التعلم والتغيير. كما يتم التركيز على كيفية التحكم في الانتباه لما يجري في الوقت الحاضر مع إقصاء الماضي والمستقبل، وعدم تذكر مشاعر وخبرات قديمة تجاه الحدث الحالي.

يقدم لكل مشارك ورقة في حجم (A4) مرسوم فيها نموذج يوضح أن

سلوكات البلطجة مع زيادة الارتباط بها يؤدي إلى الاضطراب النفسي، وأن ذلك يحدث لسببين: الأول: التعصب وعدم التسامح، وتجنب الخبرات المعرفية والسلوكية، والثاني: تذكر الخبرات القديمة في الموقف الحالي، ثم يشرح النموذج العلاج عن طريق التعقل، حيث يؤدي التعقل إلى الانفتاح والقبول، وهو ما يساعد على تخفيف حدة التعصب، كما أن التعقل يؤدي إلى زيادة مهارات المراقبة الذاتية عن طريق فك ارتباط محتويات العقل الشاذة، وبالتالي يساعد على التخفيف من تذكر الخبرات القديمة في الموقف الحالي، كما بالشكل التالي:



شكل (5)

العلاقة بين سلوكات البلطجة والاضطراب النفسي والتعقل

يطلب من المشاركين أن يكون كل منهم في حالة تأهب واستعداد: هنا والآن. وأن يكون حاضرًا بشكل كامل لحظة بلحظة، ويتم تعريفهم بأن هذه الحالة المطلوبة عادة يصعب تحقيقها؛ لأن عقولنا دائماً في حالة سرد واجترار، أو في وضع إدراكي، ولذلك يجب التحرر من كل ما يشغل العقل، والتركيز الكامل: هنا والآن. سنحاول ذلك باستخدام تقنية التركيز على أحد أعضاء الجسم بكل الأحاسيس، مع تنظيم التنفس .. لاحظ تشبث الانتباه.

هذه الحالة تأتي وتذهب مع عدم التحكم في الوضع والتفاعل، إسترخي الآن وركز على عملية التنفس، لا تشغل بأي شيء آخر سوى التفكير والتركيز على التنفس، تفكر في حركة الشهيق والزفير وامتلاء الرئتين بالهواء وتفرغهما. أنت الآن ترى عملية التنفس بمنظور جديد.

بعد ذلك يفتح باب الحوار والمناقشة، ويبيّن لهم أن التعقل يساعد على تقليل وخفض حدة القلق والضغوط، فضلاً عن تعزيز الشعور بالاتزان والوضوح، وبالتالي تنمية الإحساس والشعور بأهمية الذات، وهو عكس ما يتصرف به الشخص البلطجي من تدني احترام الذات، والنظرة الدونية للذات، وتدور المناقشات حول ضرورة تعلم رؤية الأحداث والمواقف بشكل جديد، وتعلم طرق جديدة نحل بها مشكلاتنا. وأخيراً يطلب من المشاركين ممارسة التعقل كواجب منزلي في أحد الأنشطة المعتادة اليومية عن طريق التأمل، وليكم مثلاً تناول الوجبات، أو تناول مشروب دافئ، أو التركيز على طعام حلوا المذاق.

الجلسة السابعة

عنوان الجلسة: مسرح الأقران.

الأهداف: إعطاء فكرة عن أسلوب السيكودراما، والمصطلحات المستخدمة في البرنامج مثل: البطل - الموجه - الأنوات المساعدة - والتلقائية في تجسيد المواقف.

الإجراءات: يتم تعريف المشاركين أن التقنيات المسرحية تستخدم للتوعية وتعديل السلوك، وهو ما يعرف بالمسرح التعليمي أو التربوي، أي استخدام المسرح في أهداف تتجاوز إثارة المتعة للوصول إلى تغيير المعرفة والاتجاهات والسلوك.

يتم الاتفاق على أن كل فرد من المشاركين سيلعب دور البطل، على أن يقوم المشاركون بالتمثيل التلقائي لأدوار يتفقون عليها وفقاً لما يقتضيه مضمون المشهد. كما يتم الاتفاق في هذه الجلسة على ضرورة الإعداد المبدئي قبل كل جلسة لمضمون الموقف التمثيلي، وتوزيع الأدوار على المشاركين.

ونحرص على توضيح أبعاد فنية لعب الدور، ومدى ارتباطها بفنية عكس الدور، وذلك بأسلوب مبسط، وأن كل فرد في المجموعة عليه أن يلعب دوراً في تمثيلية صغيرة، وأن هذه الأدوار موزعة على المشاركين بالإضافة إلى دور بارز للبطل، وعلى المشاركين أن يساعده في تجسيد الموقف، والتعبير عن مشاعره وانفعالاته، وبقية المشاركون يقومون بالمشاهدة، ومن خلال تعرفهم على مشكلات البطل التي ربما تفوق مشكلاتهم سوف يشعر المشاهد بالراحة ويتحقق له ما اصطاح على ما أسماه «أرسطو» بالتطهير أو إزالة القلق.

هنا يكون التركيز على مخاطبة الجانب الحسي والشعوري في المتلقي، وإشباع الحاجات الحسية والشعورية والعاطفية لديه، تلك هي الوظيفة الحسية للمسرح، وتكون الوظيفة النفسية التي أشرنا إليها بالتطهير وإزالة القلق بحسب أرسطو، في حين تكون الوظيفة التعليمية هي محصلة تفاعل المتلقي مع مضمون الفعل الدرامي.

ويجب تعريفهم أن تأليف القصة قد يكون تلقائياً حسب ما يقتضيه الموقف السلوكي، أو يقومون هم بتأليف القصة، كما قد يساعدهم المعالج في عملية التأليف، وأن الأدوار التي سوف يلعبها المشاركون يجب أن تتعدد لتغطي أدواراً مثل دور المشارك كما هو في الحياة العملية فعلاً، ودوره كما يعتقد أن الناس يرونه، ودور شخص مهم في حياته أو شخص تأثر به. ومن هنا يتعلم أنه لا يعيش في العالم وحده، بل هناك آخرون ولهم أدوار قد تختلف عن دوره، وخصائص قد تختلف عنه، أن يعرف أنه ليس وحده المتحكم في الأحداث، بل هناك دوماً آخر قد يساعد أو يقاوم، وأن لهذا الآخر دوافعه ومبرراته وأسبابه أيضاً التي تشكل دوافعه للفعل.

ويكون دور المعالج يتمثل في ضبط وتقويم السلوك من خلال التمثيلية، وتوزيع الأدوار على المشاركين، وقد يلعب دوراً محدداً في التمثيلية. ويجب أن يهتم بوضع أسس لجلسات السيكودراما يجب اتباعها وهي:

- الرغبة في تمثيل الدور.
- الاندماج الكامل في المشاهد.
- أن يكون التمثيل بتلقائية وحرية كاملة.

بعد ذلك يفتح باب المناقشة بعد انتهاء العرض مباشرة حول أحداث القصة، والتعليق عليها وتقييمها ونقدها وتفسير الأسباب التي تؤدي إلى السلوك اللاتوافقي. ويطلب من المشاركين تسجيل الجلسات عن طريق الموبايل وعرضها على جهاز «لاب توب» ومناقشتها، إلا إذا رفض الجميع فيجب احترام وجهة نظرهم والاكتفاء بالتسجيل الكتابي.

يوضح لهم أن من حق أي ممثل أن يوقف التمثيل برفع إصبعه، وهنا يوقف المعالج العرض ويسمح له بالحديث، وذلك لإتاحة الفرصة أمام الممثلين للتعبير عن مشاعرهم، مع ملاحظة عدم إشراك المشاهدين.

في هذه الجلسة يمكن تحويل الأفكار والخيالات إلى حركات، بهدف إتاحة الفرصة أمام المشاركين للتنفيس عن انفعالهم، وتنمية القدرة على التعبير الحركي، وتعتمد التدريبات على قوة التخيل وترجمة الأفكار من داخل العقل لنشاط فعلي في الواقع. يطلب من المشاركين أن يتخيلوا أنفسهم في مواضع مختلفة، ثم القيام بتمثيل هذه المواقف بالحركة كما في التمثيل الصامت (بانتوميم) مع مراعاة التركيز على هذه القضايا الحقيقية، كما يمكن أن تكون الموضوعات المطروحة كالتالي:

- تخيل أنك تقود دراجة أو موتوسيكل أو سيارة.
- تخيل أنك تسير على قدميك في طريق مزدحم.
- تخيل أنك داخل أتوبيس مزدحم وتريد النزول.
- تخيل أنك خائف ومذعور.
- تخيل أنك في مشادة كلامية مع زميل لك ... وهكذا.

ثم يقوم المعالج بمناقشة المشاركين والحوار معهم حول المواقف التمثيلية، وإبراز السلوك الإيجابي وتدعيمه، ونقض السلوك السلبي وتعديله.

الجلسة الثامنة

عنوان الجلسة: التمثيل النفسي.

الأهداف: خلق جو يمكن من خلاله القيام بالفعل السيكودرامي - تزايد الإحساس بالثقة لدى المشاركين واستشعار الأمن النفسي.

الإجراءات: تعتمد هذه الجلسة على فنية الكرسي الخالي، وهي من الفنيات التي تستخدم في جلسات التهيئة للسيكودراما. يضع المعالج مجموعة من الكراسي على شكل نصف دائرة، ويطلب من المشاركين الجلوس عليها، ثم يضع أمامهم كرسيًا خاليًا، ويطلب منهم أن يتخيلوا وجود شخص يجلس على الكرسي الخالي، وكل شخص يريد أن يقول له شيء .. يكون دور المعالج هو دور الموجه والمشجع، وحثهم على الحديث عن هذا الشخص بحرية تامة.

يجلس المشاركون في أماكنهم وأمامهم الكرسي الخالي، ويكون دور المعالج تشجيع كل منهم لتمثيل دوره، كما يمكن أن يقترح الشخص الجالس على الكرسي الخالي. فمثلا يمكن أن تكون الشخصية الجالسة على الكرسي هي المعلم ويجب تذكيرهم بضرورة التلقائية في الأداء، وحرية التعبير في حدود القواعد المتفق عليها. يتناقش المشاركون حول المشهد المراد تنفيذه، وكيف سيكون الحوار بين التلميذ والمعلم. والحوار التالي مقترح من قبل المؤلف من واقع إحدى الجلسات فعليًا:

كان الحوار حول شكوى التلميذ للمعلم من زميل مشاغب، فشجعهم المؤلف وطلب منهم أن يكون الحوار ماثلاً للواقع، وإبراز دور المعلم الحقيقي في مثل هذه المشكلات دون تحيز لطرف، بل المطلوب هو تمثيل الواقع الفعلي، فكان الحوار التالي:

(التلميذ): يا أستاذ (ص) بيشتمني ويحذف عليا ورق.

(المعلم): هو احنا في حضانة والا إيه؟ اقعد يابني.

(التلميذ): ده كل يوم على كده، وبينادينني بأسماء تغيظني ويضحك عليا

الفصل.

(المعلم): أنا جاي أشرح الدرس والا جاي احل مشا كلكم؟ مش معقول

كده، اطلع بره انت وهو.

(التلميذ): أنا مش عاوز اخرج من الحصّة وعاوز اسمع الشرح.

(المعلم): يبقى تسكت.

(التلميذ): ماشي.

(المعلم): بعد الحصّة روح للمدير، أو خذ حقك بإيدك.

بين التلميذ أن هذا الموقف قد حدث بالفعل العام الماضي معه شخصياً، وأن الطالب الآخر يفعل المشاكل للخروج من الحصّة، وقد استطاع أن يلحق زميله درساً في ملعب المدرسة بأن ضربه بالاستعانة ببعض زملائه، بل وحدث تحول في حياته بأن أصبح هو من يضايق الآخرين ويتوعددهم خارج المدرسة في حالة الشكوى منه، علاوة على أنه يستغل أحد الأشخاص

المستضعفين ليشتري له سجائر بشكل يومي حتى يتجنب سلاطة لسانه، وحتى لا يلصق به اسماً يناديه به وسط زملائه.

تناقش المشاركون حول هذا المشهد، وقد جاءت آراء المجموعة بأن دور المعلم سلبي تماماً، وأنه هو السبب في تحول سلوك التلميذ، وكان من الممكن من البداية أن يكون حازماً، أو يقوم بالصلح بينهما، ولكن تحاذله هو الذي جعل التلميذ يأخذ حقه بطريقته، ثم استلذ الاعتداء على الآخرين، وتوحد بالمعتدي، وأخذ يمارس ضد الآخرين ما كان يعاني منه. توحدت الآراء حول دور المعلمين في مثل هذه المشكلات بأنهم ليس لهم دور على الإطلاق. انتقد أحد المشاركين التحول الذي حدث في حياة التلميذ قائلاً: إذا كان دور المعلم سلبي فأين دورك أنت؟ كان يكفي أنك أخذت حقه، فما الداعي أن تتحول هذا التحول؟ وقال آخر: سيقف لك شخص يوماً ما ويكرر ما حدث عندما كنت أنت الضحية، فازداد استبصار التلميذ بمشكلته، وبرفض زملائه لسلوكه، وانتهى المشهد بأن التلميذ أخطأ بتحوله هذا، حتى وإن أخطأ المعلم بتصرفه، فلا يمكن أن نساير بخطأ مثله. في البداية أبدى التلميذ معارضته بأنه لو امتنع هو عن مضايقة الآخرين لبادروا هم بمضايقته، إلا أنه اقتنع بعد ذلك بضرورة تغيير سلوكه تجاه الآخرين ولكن بالتدرج.

بعد ذلك يمكن اختيار مشاهد تمثيلية أخرى بحيث تختلف الشخصيات التي تجلس على الكرسي وتتنوع، مرة الأب وأخرى صديق، وهكذا.

الجلسة التاسعة

عنوان الجلسة: التحديد الهرمي لأهمية القيم.

الأهداف: مساعدة المشاركين على تحديد وترتيب قيمهم وتوجهاتهم.

الإجراءات: يوضح للمشاركين أن في هذه الجلسة سيتم استخدام طريقة جديدة، وأن المعالج سيشارك بنفسه في المشهد التمثيلي، ويبيّن لهم أن الجلسة سوف تدور حول عملية البيع والشراء، وأن المعالج سيقوم بدور البائع، ويطلب من المشاركين مساعدته في عمل هيكل لمحل (دكان) بالمقاعد المتوفرة في المكان ومجموعة من الأخشاب إذا توافر ذلك، وبعد الانتهاء من عمل الهيكل يبين لهم أن هذا المحل لا يبيع أشياء مادية، وإنما قيمًا وخصائص شخصية، ورغبات هامة في الحياة كالنجاح والسعادة والشجاعة والود والاحترام والصراحة، وأن طريقة الشراء ليست بدفع النقود، وإنما لكي تحصل على ما تتمنى فكل ما عليك هو أن تبادل به قيمة أو خاصية، أو جانبًا من جوانب رغباتك الشخصية.

هذه الفنية تدعى «الدكان السحري» وهي طريقة تستخدم لتأهيب واستعداد وتسخين المجموعة البطيئة حتى تشارك في الحديث، كما يستخدم هذا الأسلوب مع الشخص غير القادر على اكتشاف مشكلته بوضوح. وبذلك يحدث نوعًا من التحديد الهرمي لأهمية القيم بالنسبة للفرد، ويحدث له إعادة استبصار يجعله يدرك قيمه ومبادئه وتوجهاته.

يتقدم أحد المشاركين ويطلب شراء كمية من الشجاعة مثلاً، ويدور الحوار على الشكل التالي:

البائع: نعم، الصنف موجود، ولكن ثمنه أن تتنازل عن التهور والاندفاع.

المشتري: تعطيني الشجاعة وتأخذها مني؟

البائع: هناك فرق بين السلعتين، ويوضح له الفرق بينهما، فيقرر المشتري

الشراء على أن يتنازل عن ثمن السلعة، وقبل أن ينصرف يسأل عن سلعة أخرى فقال: عندكم نجاح؟

البائع: نعم، ولكن أي نوع منه تريد؟

المشتري: عرفني أصنافه المتاحة.

البائع: لدينا نجاح دراسي، ونجاح في العلاقات الأسرية، ونجاح في علاقات الأصدقاء، ونجاح في تقبل التغيير الاجتماعي، ونجاح في التعاون والتسامح والإيثار.

المشتري: أريد النجاح في علاقتي بالأصدقاء والآخرين عمومًا.

البائع: أخبرني أولاً ماذا تفعل معهم، وما هي تصرفاتك تجاه الآخرين؟

المشتري: أريهم مدى أهميتي قبل أن يتجاهلوني.

البائع: يلزمك تدريب على استخدام المنتج، ولذلك سأعطيك كتالوج يوضح لك كيفية التعامل معه.

المشتري: ناولني الكتالوج.

البائع: إحفظ هذه النصائح وقم بتنفيذها على الفور مع كل الأطراف التي تتعامل معها.

- أظهر اهتمامًا بالناس - ابتسم - تكلم فيما يسر محدثك - تذكر أن اسم الطرف الآخر أحب الأسماء إليه، فلا تناديه إلا به - أظهر التقدير على الآخر واجعله يشعر به - دع الآخر يحتفظ بماء وجهه - تذكر أخطائك قبل أن تنتقد الآخرين.

المشتري: شكرًا جزيلاً .. إئذن لي بالانصراف.

البائع: تفضل مع سلامة الله.

هذا الحوار يشجع أفراد المجموعة على الإقبال على شراء سلع ومنتجات أخرى، ويجب على المعالج أن يعرض السلع بنفس الطريقة، ويتم التعامل مع عدد من المشاركين، ووعدهم باستكمال بقية المجموعة في الجلسات القادمة.

الجلسة العاشرة

عنوان الجلسة: كف استجابة قديمة بأخرى مستحدثة.

الأهداف: توضيح إيجابيات وسلبيات استخدام وسائل الاتصالات الحديثة - التركيز على وسيلة التليفون المحمول، والإنترنت، وكف استجابات ثابتة في السلوك بأخرى متعارضة معها.

الإجراءات: يقوم المعالج بإلقاء محاضرة عن وسائل الاتصالات الحديثة وأهميتها ومخاطرها على صحة الإنسان والتأثيرات السيكولوجية لها، وتكون البداية عن التليفون المحمول وتأثيره السيكولوجي الإيجابي فيما يتعلق بتخفيف الشعور بالوحدة، وأنه أداة يومية للمتعة الإيجابية، ثم يبدأ بفتح باب الحوار حول استخدام المشاركين للموبايلات، وضرورة الصدق والأمانة والتعبير عن المشاعر بحرية تامة.

ومن الملاحظ أن القاسم المشترك الذي يكمن وراء سلوكيات البلطجة بصفة عامة، والبلطجة عبر الإنترنت والموبايل بصفة خاصة هو اتجاه

اللامبالاه، ولذلك يبيّن للمشاركين أن الاعتداء على حرية الغير واستخدام التكنولوجيا الحديثة في مضايقة الآخرين إنما هي أفعال ضارة وغير مبررة، تتسبب في الأذى المادي والنفسي للشخص الضحية، ويوضح لهم أن البلطجة عبر الإنترنت إنما هي شكل متخفي من البلطجة التقليدية للاشتراك معها في أهم العناصر وهي: التكرار والتسلط والهيمنة وسوء النية.

يمكن للمعالج أن يدخل على صفحة التواصل الاجتماعي الخاصة به، ويضع على حائطه مجموعة من الكلمات الرقيقة ونشرها بين الأصدقاء، ثم يطلب من بعض المشاركين تقليده في هذا السلوك بعد فتح صفحاتهم الخاصة وأمام الحاضرين جميعاً من خلال الموبايلات. ثم يطلب من أفراد المجموعة كتابة رسائل لأصدقائهم عبر البريد الإلكتروني تحمل عبارات الود والاحترام، أيضاً يمكن البحث من خلال الإنترنت عن جملة قصيرة أو صورة تعبر عن البلطجة عبر الإنترنت أو التليفونات المحمولة، ويتم الاختيار من بينها، وتعليق الصورة أمام المشاركين طول مدة الجلسة، بعد أن يتم مناقشتها، ويمكن اقتراح الصورة الموجودة أسفل الصفحة.

يكون التركيز على أسلوب الكف بالنقيض لتعديل هذه السلوكات بأخرى متعارضة معها، فمثلاً يمكن تأليف رسائل تعبر عن الود والاحترام وإرسالها إلى أشخاص تم مضايقتهم من قبل، ويتم اختيار ثلاثة من المشاركين ويوزع عليهم كروت شحن كنوع من التذعيم، ثم يطلب منهم الاتصال ببعض الأرقام التي يتعرضون لها بالمضايقات وتقديم اعتذار رقيق، والتعهد للطرف الآخر بعدم مضايقته مرة أخرى.

يطلب من باقي أفراد المجموعة كتابة رسائل طيبة وإرسالها لصديق،

ثم مفاجئتهم بالكشف على صندوق الرسائل الخاص بكل منهم بعد جمع موبايلاتهم وإذا تبين أن أحدهم لم ينفذ المطلوب يتم عقابه بأخذ شريحة الموبايل لمدة يوم على أن ترد له في اليوم التالي ويوضح له أن هذا أسلوب عقابي على سوء سلوك قام به.



إن ما تم عرضه من الجلسات السابقة هو مجرد نموذج يمكن الاقتداء به، فقد تزداد عدد الجلسات أو تقل بحسب الفئة المستهدفة وظروف تطبيق البرنامج. وتجدر الإشارة إلى ضرورة وجود جلسة ختامية في نهاية البرنامج يكون الهدف منها تلخيص البرنامج، وتقديم الشكر للمجموعة على حُسن تعاونهم، وتكون عبارة عن حوار مفتوح ومناقشات حول البرنامج وجلساته، والتعرف على إيجابياته وسلبياته، ومدى فعاليتها وأهميته بالنسبة للمشاركين، وكيفية الاستفادة منه في الحياة اليومية، سواء في المدرسة أو أماكن العمل أو الأندية، ... إلخ.

ثبت المصطلحات

الإحباط Frustration

الإحباط في اللغة هو الإبطال، وفي التنزيل العزيز: ﴿أُولَئِكَ لَمْ يُوْمِنُوا فَاَحْبَطَ اللَّهُ أَعْمَلَهُمْ﴾ [الأحزاب: 19]، واصطلاحاً هو إعاقة النشاط المتجه نحو هدف إما بإيقاف هذا النشاط فعلاً، أو بالتهديد بإيقافه، أو الإيحاء بأن مآله إلى الهزيمة. فحالة الإحباط إذن هي الحالة التي يوجد فيها الفرد ولديه دوافع لا يستطيع إشباعها وبالتالي يشعر بالضيق والاستياء، فيصطنع الأنا بعض من حيل التوافق للخروج من تلك الأزمة مثل الكبت والإسقاط والتبرير والتوحد.

أحلام اليقظة Day dreams

إستسلام الفرد لتخيلات يرى فيها نفسه وهو يحقق آماله ويشبع دوافعه ويتخطى العقبات التي تحول دون ذلك، فالفاشل يحلم بالنجاح، والضعيف يحلم بالقوة، وهكذا. وأحلام اليقظة تختلف عن أحلام النوم، حيث يكون التفكير في أحلام اليقظة شعورياً، أما في أحلام النوم فيكون الإنسان أقرب فيها إلى اللاشعور.

الإدمان Addiction

حالة نفسية وعضوية تنتج من تفاعل الفرد مع العقار، ومن نتائجها الرغبة

الملحة في تعاطي العقار باستمرار حتى يتجنب المدمن الآثار المهددة والمؤلمة التي تنتج من عدم تناوله، وزيادة الجرعة بصورة متزايدة لتعود الجسم على العقار والاعتماد النفسي والعضوي عليه. والتعود على العقار يزيد الرغبة في الاستمرار على تعاطيه لما يسببه من شعور بالراحة وتحقيق اللذة وتجنب القلق والألم. ولم يعد يقتصر تعريف الإدمان على التعريفات الضيقة مثل الإدمان على المخدرات أو الخمر، فمع التطور العلمي والتكنولوجي وجد إدمان للكمبيوتر والإنترنت، وهو إدمان لا يحدث بالشم أو التعاطي أو البلع، بل يحدث بالجلوس لفترات طويلة أمام الكمبيوتر والإنترنت، وقد ظهر مفهوم إدمان الكمبيوتر والإنترنت Computer-Internet Addiction بالقاموس الطبي عام 1995 حيث كان أول من أشار إليه هو الطبيب النفسي إيفان جولدبرج.

الاستعراضية Exhibitionism

في اللغة هي الإظهار، فالضربات الاستعراضية لإظهار القوة والتفوق. وهي إحدى الدفعات الغريزية القهرية، وهي تميل بصاحبها لعرض الأعضاء التناسلية أو أجزاء أخرى من البدن يلزم الواقع بسترها.

إضطراب المساك أو التصرف Conduct disorder

نمط ثابت ومتكرر من السلوك النفسي والبدني، أو التصرفات العدوانية أو غير العدوانية التي تنتهك فيها حقوق الآخرين وقيم المجتمع وقوانينه، على أن يكون هذا السلوك أكثر خطورة من مجرد الإزعاج المعتاد.

الإضطراب النفسي Psychological disordre

الإضطراب في اللغة هو الفساد والضعف. ويطلق على الاضطرابات التي تصيب الشخصية من ناحية التفكير أو الانفعال أو السلوك، ويعني سوء توافق الفرد مع ذاته، ومع واقعه الاجتماعي. ومصطلح الاضطراب النفسي حديث نسبياً وقد استعمل المصطلح بدلاً من المرض النفسي، وعموماً هو مجموعة أعراض سلوكية أو نفسية تطرأ على الشخص ويصاحبها ضيق، ومهما يكن أصل هذه الاضطرابات فإنها تعتبر كمظاهر لاختلال وظيفة سلوكية أو نفسية أو بيولوجية.

الاغتراب Alienation

في اللغة التغرّب: البعد والغربة، والغرب: النزوح عن الوطن والاغتراب. وغربة: بُعد عن وطنه، وتغرب: نزع عن الوطن. ويشير المعنى التقليدي لمصطلح الاغتراب إلى الابتعاد عن الله، أو التجريد من الممتلكات، ومفهوم الاغتراب عن الله له جذور عميقة في اليهودية والمسيحية، في حين أن التجريد من الممتلكات من المفاهيم الأكثر حداثة. ولفظ الاغتراب يُطلق عادة على البُعد عن الأهل والوطن، بينما يُطلق اصطلاحاً في العلوم الاجتماعية على فقدان الفرد لذاته، واغترابه عنها، فيستنكر أعماله وكأنها غريبة عليه، ويستنكر ذاته وكأنه ليس هو، فيبتعد عن المجتمع الذي يعيش فيه ويعتزله مما يعتبر ضرباً من الاضطراب النفسي، أو عرضاً من أعراضه.

الإكتئاب Depression

مصطلح يستخدم لوصف مزاج، أو أعراض، أو زملة أعراض لاضطرابات وجدانية، وتتمثل الحالة المزاجية للاكتئاب في الشعور باليأس والكآبة والحزن وانقباض الصدر، كما تتمثل الأعراض في مجموعة الشكاوى التي تتجمع في زملة Syndrome تشير إلى سلسلة عريضة من الاختلال النفسي الذي يتغير بحسب التكرار والشدة والمدة. ويُعد الاكتئاب مشكلة من المشكلات التي تعوق الفرد عن توافقه وتطوره، ويتمثل الاضطراب الانفعالي في عدم القدرة على الحب، وكراهية الذات إلى الدرجة التي تصل للانتحار، كما يتمثل الاضطراب المعرفي في انخفاض تقدير الذات، وتوقع الفشل في كل محاولة للنجاح، واستشعار خيبة الأمل في الحياة، وعدم القدرة على التركيز الذهني.

الأنا Ego

يبدأ تكوينها عند الشهر السادس وحتى الثامن تقريباً، تعمل الأنا على ضبط اندفاعات «الهو»، فهي تحتكم إلى المنطق، فعلى الرغم من أنها ترغب في الحصول على اللذة إلا أنها تؤجل الإشباع لكي تحافظ على مبدأ الواقعية. تعتبر الأنا هي الجزء المتحكم في الشخصية وتعمل على تحقيق التوازن بين متطلبات «الهو» والواقع، فإذا كانت «الأنا» قوية وقادرة على بسط نفوذها على «الهو» و «الأنا الأعلى» والعمل على الانسجام بينهما كانت الشخصية أقرب إلى الصحة النفسية.

الأنا الأعلى Super ego

هي بمثابة الضمير، وقدرة الشخص على التمييز بين الصواب والخطأ. وللأنا الأعلى مطالبه التي يجب على الأنا توفيرها، هذه المطالب تقوى مع وجود عقاب مبرح وتحكم والدي وتسلط، فيتشكل «الأنا الأعلى» على هذه الصورة ويصبح صارمًا، وإذا كانت الأنا الأعلى قوية واستطاعت أن تقهر «الأنا» تولدت الصراعات الداخلية وظهرت أعراض المرض النفسي.

إنثروبولوجي Anthropology

كلمة مكونة من مقطعين: anthropos بمعنى إنسان، و Logos بمعنى علم، أي علم الإنسان. وتنقسم الأنثروبولوجيا إلى ثلاثة فروع رئيسة: طبيعية، واجتماعية، وثقافية. أما الأنثروبولوجيا الطبيعية فهي تدرس النمو الجسمي للإنسان من الناحية التطورية، وتشمل علم الحفريات البشرية، أي علم الإنسان البدائي، وعلم الأجناس البشرية من ناحية خصائصها الجسمية. والأنثروبولوجيا الاجتماعية تدرس النظم الاجتماعية المختلفة دراسة مقارنة وخاصة نظم المجتمعات البدائية والمتخلفة. والأنثروبولوجيا الثقافية تهتم بدراسة عادات الشعوب المتأخرة وتقاليدها دراسة تاريخية، وتشمل ثقافات ما قبل التاريخ والثقافات البائدة.

الإيروس Eros

إله الحب في الأساطير اليونانية. ولقد استخدم «فرويد» هذا الإسم للدلالة على غريزة الحب والحياة التي اقترحها في نظرية التحليل النفسي،

وتتضح مظاهرها في محافظة الإنسان على نفسه، والكفاح في الحياة، وتحتضن هذه الغريزة غرائز التماس الطعام والغريزة الجنسية، وذلك في مقابل غريزة الموت.

البارانويا Paranoia

مرض عقلي من فئة الذهان يتميز بوجود هذاء منظم وثابت مع احتفاظ الشخصية عادة بإمكانياتها العقلية دون تدهور ناتج عن استمرار فترة المرض، وفي أغلب الأحوال توجد لدى المريض هلاوس سمعية وبصرية تؤيد هذائه وتساندها. والمريض يبالغ في تقدير ذاته، وزهو يستتر أحياناً خلف تواضع مصطنع، كما يتميز بعدم الثقة بالغير، وسرعة الإحساس بالتجريح، ويعتبر الشخص نفسه ضحية للآخرين، وبالتالي العجز عن التوافق الاجتماعي، والمريض يستخدم عملية الإسقاط باستمرار فينسب إلى غيرها أفكاره ومشاعره، ويؤوّل حركات الآخرين بما يتفق واعتقاده المرضي بحيث يتحول صراعه الداخلي في النهاية إلى صراع خارجي بينه وبين الآخرين.

التثبيت Fixation

في اللغة هو الإقامة في نفس المكان. والتثبيت هو التوقف عند حال بعينه فيصبح خطوة على طريق الكبت لبعض المحتويات التي يجربها الفرد ويقم بكبتها فتصبح فعالة في اللا شعور وبخاصة في المراحل الأولى من مراحل النمو، وما من مرحلة من مراحل النمو إلا وتترك نقاط تثبيت. ومن صور

الثبيت الطفلي على الوالدين اختيار المرأة زوجًا شبيهًا بأبيها، واختيار الرجل زوجة بديلًا عن الأم.

التخلف العقلي Mental retardation

مصطلح يستخدم على نحو واسع، ويشير إلى أداء ذهني أقل من المتوسط، ويصاحبه قصور في السلوك التوافقي، ويعتبر الفرد متخلفًا عقليًا إذا بلغت نسبة ذكائه 70 درجة أو أقل، أو إذا بدا قصوره في التوافق أو القدرة الاجتماعية واضحًا.

التسلطية Authoritarianism

الخضوع التام للسلطة ومبادئها بدلًا من التركيز على الحرية. فهي اتجاهات في سياسة الأفراد وإدارتهم تتصف بممارسة السلطة عليهم وعدم اعتبار آرائهم ومشاعرهم وتخويفهم بالعقاب إن خالفوا صاحب السلطة عليهم أو اعترضوا عليه، وتمهد لتجميع السلطة في يد فرد واحد أو أفراد قلائل، وهي تفرض الانقياد الأعمى للإدارة أو القيادة أو السلطة، وهي بهذا ضد الديمقراطية وترادف الديكتاتورية. وتبدو التسلطية كظاهرة نفسية اجتماعية في كل المستويات من الأسرة الصغيرة وحتى المجتمع الكبير بنفس الملامح والخصائص.

التمرد Rebelliousness

مقاومة السلطة وخاصة سلطة الأب وكل من يمثلها. وتظهر بوضوح في مرحلة

المراهقة كتعبير عن الرغبة في الاستقلال الذي يتطلع إليه المراهق، والاستمرار على هذه الحالة دون تمييز يصبح علامة على عدم النضج والعدوانية.

التوحد Identification

حيلة من حيل التوافق تتم على مستوى لا شعوري، وهي بذلك تختلف عن المحاكاة التي هي عملية شعورية يضع بها الفرد نفسه مكان الآخر وضعا مؤقتا، يأتي بأفعاله ويردد أقواله دون أن ينتج عن ذلك تغيير جوهري في شخصيته. أما في التوحد فالفرد لا يعي أنه يقوم بعملية التوحد فيتمثل الفرد ويستدمج داخل ذاته دوافع واتجاهات وسمات شخص آخر بحيث تصبح أصيلة في كيان الفرد. ومثال التوحد ما أسمته «أنا فرويد» بالتوحد بالمعتدي، وفيه يسيطر الفرد على مخاوفه من الشخص المعتدي بتوحده به، فيتحول الشخص المهذب إلى شخص يهدد. وتعتبر سعادتنا بما يحصل عليه أبطال الأفلام والمسلسلات عائداً إلى توحيدنا معهم، وكذلك عندما ينفجر شخص ما باكياً لما يلاقيه البطل من آلام وأحزان.

ثاناتوس Thanatos

إله الموت في الأساطير اليونانية. وقد استخدم فرويد المصطلح للدلالة على غريزة الموت كمقابل لغريزة الحياة، وتبدو مظاهرها في الهدم والتدمير والاعتداء على الغير وعلى أنفسنا.

السادية Sadism

إشتقاق اللذة عن طريق إيلام الآخرين أو إذلالهم، سواء بتوجيه عدوان

مادي كالضرب أو عدوان معنوي كالتقليل من شأن الآخر. ويظهر هذا السلوك غالباً في صورة انحرافات جنسية. وينسب هذا المصطلح إلى المريكزي دي ساد (1740 - 1814).

السيكوباتية Psychopathic

اضطراب خطير في الشخصية يمنعها من التكامل، ويشوه علاقة الفرد بالعالم الخارجي، ويصدر هذا الاضطراب بخاصة عن قصور في نمو الأنا Ego والأنا الأعلى Super ego يلزم الفرد منذ نشأته أو يظهر في سن مبكرة لا تتجاوز البلوغ. والشخصية السيكوباتية شخصية عدوانية لا تعرف الإحساس بالذنب أو الندم، ولا تتعلم من تجاربها السابقة، ولا تعرف الرحمة أو العدل أو الكرامة، وكل ما يهم هذه الشخصية هو تحقيق أكبر قدر من اللذة، حتى لو كانت هذه اللذة مبنية على أكبر قدر من الألم الذي يصيب الآخرين. وأحياناً نجد الصفات السيكوباتية مغلقة بقناع من الدبلوماسية والنعومة، ولهذا يطلق على هذا النوع وصف (السيكوباتي المهذب Decent Psychopath) وهو أخطر من السيكوباتي العنيف الظاهر العنف؛ لأنه يحمل كل صفات السيكوباتية مضافاً إليها صفات الخداع والتستر، والقانون والأخلاق لديها كلمات ليس لها معنى أو وجود، وهي تستخدمها فقط حين تجد ذلك في مصلحتها.

الشعور Conscious

منطقة في الشخصية تتميز بالوعي وإدراك ما يحدث أو يدور بداخلها،

فلو شعر شخص بالجوع فإنه يبحث عن الطعام، هذا البحث يقع في منطقة الشعور والوعي.

الشعور بالذنب Guilt Feeling

إحساس الفرد بتأنيب الضمير لارتكابه إثم يستحق عليه العقاب، والذنب قد يكون حقيقياً وقد يكون وهمياً، وقد يكون مصدر الإحساس شعورياً أو لا شعورياً. يشعر الفرد بالضيق والتعاسة حتى أن البعض يصل إلى حد الانتحار.

الصرع Epilepsy

أحد الأمراض العضوية التي تصيب المخ عبارة عن اضطراب في النشاط الكيميائي الكهربائي للمخ، ينتج عن إصابات المخ، أو ارتفاع درجة حرارة الجسم ارتفاعاً كبيراً، أو بسبب عوامل وراثية. أهم أشكاله: النوبة الصرعية الكبيرة، وفيها يتم فقدان الوعي مع تشنج عضلي، وبعد الغيوبة يعود الفرد فاقد الذاكرة حول ما حدث له من بداية النوبة. والنوبة الصرعية الخفيفة، حيث يفقد الشخص الوعي لمدة ثوان دون أي تشنجات عضلية. والنوبة الصرعية النفس حركية، حيث تضطرب الحالة الشعورية للفرد وكأنه في حلم مع عدم وعيه بالمكان والزمان، وتوجد هلوسات سمعية وبصرية.

علم النفس الفردي Individual Psychology

نظرية أنشأها ألفريد أدلر (1870 - 1937) في فيينا بعد انشقاقه عن فرويد. تركز النظرية على أن إرادة القوة والتفوق وبلوغ الكمال وقهر

الإحساس بالدونية هي الدافع الرئيس للإنسان، تركز النظرية على أهمية التعويض الزائد كميكانيزم تلجأ إليه الشخصية في تحقيق توافقها ورغباتها بهدف قهر عقدة النقص التي تصيبها .

الفرويديون الجدد

مجموعة من العلماء على رأسهم «آنا فرويد» ابنة سيجموند فرويد، وتلميذها إريك أريكسون، وإيريك فروم، وكارن هورني، وهاري ستاك سوليفان. لم ينفصلوا عن فرويد كما فعل أدلر ويونج وأوتو رانك، وإنما اهتموا بتنمية الجوانب المهملة للفكر النفسي التحليلي، حيث التركيز على الطرق التي من خلالها تتعامل «الأنثى» مع متطلبات العالم الخارجي، وأهمها ميكانزمات الدفاع النفسي. ركزت «آنا فرويد» على الأنثى كقوة أكثر أهمية في تطور ونمو الشخصية، ثم طور «إريكسون» نموذج لنمو الشخصية عبر الحياة مؤكداً على أزمة الهوية كجزء من النمو النفسي في مرحلة المراهقة خصوصاً، بينما أكد كلاً من «فروم وهورني» على الدوافع الاجتماعية للسلوك أكثر من الجنس والعدوان.

الكروموسومات Chromosomes

خيوط بروتينية يختلف عددها باختلاف نوع الكائن الحي، وعددها في الإنسان ثلاثة وعشرون زوجاً، والزوج الثالث والعشرون هو المسئول عن جنس المولود، فهو متماثل في الإناث ويرمز له بالرمز (xx) ومختلف في الذكور ويرمز له بالرمز (xy).

اللاشعور Unconscious

أهم ما يميز نظرية التحليل النفسي أنها نظرية في اللاشعور. وهو جانب من الحياة العقلية معزول عن الشعور المباشر يصعب استرجاعه نظراً لنيانته أو كبتة لعدم ملائمتة للجانب الخلقى أو لما يتضمنه من تهديدات للذات. يتكون من المعاني البدائية والميول والرغبات والخبرات المكبوتة.

اللاشعور الجمعي Conllective Unconscious

يرجع المصطلح إلى كارل يونج (1875 - 1961) أحد تلامذة فرويد في حركة التحليل النفسي. وهو عبارة عن المخلفات النفسية التي ورثناها عن أسلافنا من البشر، وهو الذي حمل لنا الحكمة والمعرفة والخبرة التي أتتنا عن الجدود، كالتماس ثدي الأم للرضاعة عند الولادة، والخوف من الظلام والمجهول، واستخدام الرموز في الأحلام التي نراها في نومنا، وذلك نتيجة لخبرات متراكمة مر بها الجنس البشري وغرست بشكل فطري في تكويننا النفسي. ويوجد اللاشعور الجمعي بداخل كل فرد منا وإن اختلفت نسب تواجهه من فرد لآخر

الماسوشية أو المازوخية Masochism

ينسب المصطلح إلى الكاتب النمساوي «ساخر مازوخ» Sacher Masoch وهو عبارة عن ارتباط اللذة الجنسية التي يستشعرها الفرد بما يعانیه من ألم بدني مثل الضرب والعض، ونفسي كالأهانة والتحقير والإذلال،

وجرح الكرامة ودنو المنزلة، وكذلك إهانة الذات وإيلاام الذات والانتحار والشعور المفرط بالذنب.

مبدأ اللذة Pleasure Principle

مبدأ سيكولوجي مضمونه أن الإنسان ينزع في سلوكه إلى الحصول على أكبر قدر من اللذة وتفادي أكبر قدر من الألم، ويتخلى النشاط النفسي عن طريق الكبت عن أي عملية تتسبب في الألم، وميولنا الواعية إلى إقصاء انطباعتنا المؤلمة خير شاهد على قوة هذا المبدأ.

مبدأ الواقع Reality Principle

هو أحد المبدأين اللذين يحكمان النشاط العقلي من وجهة نظر فرويد. من خلال تعرفنا على مبدأ اللذة كان لا بد للجهاز النفسي أن يقرر تصور الأحوال الواقعية للعالم الخارجي وأن يرض نفسه على تعديلها، فإذا كان مبدأ اللذة يسعى للحصول على اللذة وتجنب المر دون اعتبار لمقتضيات الواقع، فإن مبدأ الواقع هو ناتج عن تعديل مبدأ اللذة تعديلاً تدريجياً بتأثير الخبرات المؤلمة، فيستهدف إشباع حاجات الكائن العضوي مع مراعاة التوافق مع الواقع.

الهو ID

أحد النظم الثلاثة التي تتركب منها الشخصية بحسب فرويد. تشمل كل مكونات النفس من الدوافع الفطرية الموروثة، والغرائز، وهي لا

شعورية وتمثل الجانب الفوضوي من الشخصية، سريعة الإثارة والتهييج وليس لها ارتباط بالعالم الواقعي، تحصل على اللذة من خلال تفريغ الطاقة الغريزية وتجنب الألم الذي ينتج عن التوتر دون اعتبار للأخلاق والواقع. وإذا كانت «المهو» أقوى من «الأنا» ستكون النتيجة المرض النفسي.

المراجع

المراجع العربية

أحمد عكاشة (1998). الطب النفسي المعاصر. القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية.

أحمد محمد أبو زيد (2012). البلطجية: معتادو الإجرام في فترات ما بعد الثورات. ملحق مجلة السياسة الدولية، عدد 187، ص ص 26 - 30.

أكرم فتحى يونس زيدان (2002). في الديناميات النفسية للمقامر كما تبدى في العلاج الجمعي. رسالة دكتوراه، كلية الآداب جامعة المنصورة.

إمام عبد الفتاح إمام (1985). توماس هوبز: فيلسوف العقلانية. القاهرة: دار الثقافة للنشر والتوزيع.

جمعة سيد يوسف (2000). الاضطرابات السلوكية وعلاجها. القاهرة: دار غريب للنشر والتوزيع.

حامد عبد السلام زهران (1999). علم نفس النمو: الطفولة والمراهقة. القاهرة: عالم الكتب.

ديفيد أ. وولف (2005). الإساءة للطفل: مترباتها على نمو الطفل واضطرابه النفسي. (ترجمة جمعة سيد يوسف). القاهرة: المجلس الأعلى للثقافة.

رشدي فام منصور (2000). علم النفس العلاجي والوقائي: رحيق السنين. القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية.

روبرت د. ناي (2003). السلوك الإنساني: ثلاث نظريات في فهمه. (ترجمة أحمد إسماعيل ومنير فوزي). القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب.

سيجموند فرويد (1988). الموجز في التحليل النفسي. (ترجمة سامي علي وعبد السلام القفاش). (ط4). القاهرة: دار المعارف.

سيد عويس (2002). ظاهرة العنف في المجتمع الإنساني. المؤتمر السنوي الرابع «الأبعاد الاجتماعية والجنائية للعنف في المجتمع المصري»، المركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية. القاهرة، (20 - 24 إبريل 2002) ص ص 1180 - 1194.

صاحب عبید الفتلاوي (1998). تاريخ القانون. الأردن-عمان: دار الثقافة للنشر والتوزيع.

صلاح مخيمر (1981). المفاهيم والمفاتيح في علم النفس. القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية.

صلاح مخيمر (1984). الإيجابية كمعيار وحيد وأكيد. القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية.

صلاح مخيمر (1996). المدخل إلى الصحة النفسية. (ط4). القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية.

طلعت منصور غبريال (1982). الشخصية السوية. مجلة عالم الفكر. المجلد

الثالث عشر، العدد الثاني، ص ص 407-452. الكويت: وزارة الإعلام.

عادل عز الدين الأشول (1982). علم النفس النمو. القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية.

عبد الستار إبراهيم (1985). الإنسان وعلم النفس. الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب. عالم المعرفة، عدد 86.

عبد المطلب أمين القريطي (1998). في الصحة النفسية. القاهرة: دار الفكر العربي.

عبد المنعم الحفني (1995). المعجم الموسوعي للتحليل النفسي. القاهرة: مكتبة مدبولي.

علي عاشور الجعفر (2008). البرامج الفضائية المفضلة لدى عينة من الأطفال بدولة الكويت وعلاقتها بالتفكير الخلقى. المجلة التربوية، عدد 88، مجلد 22، ص ص 49-74. مجلس النشر العلمي: جامعة الكويت.

فرج عبد القادر طه وشاكر عطية قنديل وحسين عبد القادر محمد ومصطفى كامل عبد الفتاح (2009). موسوعة علم النفس والتحليل النفسي. القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية.

فيصل عباس (1994). التحليل النفسي للشخصية. بيروت: دار الفكر اللبناني.

محمد ابراهيم عيد (1997). أزمت الشباب النفسية. القاهرة: زهراء الشرق.

- محمد إبراهيم عيد (2005). مقدمة في الإرشاد النفسي. القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية.
- محمد السيد عبد الرحمن (2000). علم الأمراض النفسية والعقلية. القاهرة: دار قباء للطباعة والنشر.
- محمد فريد وجدي (1971). دائرة معارف القرن العشرين. (ط3). بيروت: دار المعرفة للطباعة والنشر.
- محمد يسري دعبس (1998). البلطجة: رؤية في أنثروبولوجيا الجريمة. الإسكندرية: الملتقى المصري للإبداع والتنمية.
- مصطفى سيد احمد صقر (1989). محاضرات في تاريخ النظم القانونية والاجتماعية. المنصورة: مكتبة الجلاء الجديدة.
- معوض عبد التواب (1998). الوسيط في شرح جرائم البلطجة والجرح والضرب. الإسكندرية: منشأة المعارف.
- منصور رحمانى (2006). الوجيز في القانون الجنائي العام. الجزائر: دار العلوم للنشر والتوزيع.
- منظمة الصحة العالمية (2000). المراجعة العاشرة للتصنيف الدولي للأمراض: تصنيف الاضطرابات النفسية والسلوكية. المكتب الإقليمي لشرق المتوسط.
- هبة سامي محمد إبراهيم (2012). فعالية برنامج علاجي قائم على التعقل في خفض حدة الضغوط النفسية لدى عينة من الشباب. رسالة دكتوراه، كلية التربية جامعة عين شمس.

وول ديورانت (د.ت). قصة الحضارة. بيروت: دار الجيل.
 يزيد عيسى السورطي (2009). السلطوية في التربية العربية. عالم المعرفة.
 عدد 362. الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون
 والآداب.

المراجع الأجنبية

- American Psychiatric Association (1994). Diagnostic and Statistical Manual of Mental Disorder: DSM-IV. Washington, DC: American Psychiatric Association.
- Anthony A. Volk; Joseph A. Camilleri; Andrew V. Dane, and Zopito A. Marini (2012). Is Adolescent Bullying an Evolutionary Adaptation? AGGRESSIVE BEHAVIOR, Vol (00), PP 1-17.
- Beran, T. & Li, Q. (2005). Cyber-harassment: a study of a new method for an old behavior. Journal of Educational Computing Research, 32(3), 265-277.
- Berna, Cornelis F.; van Lieshout; Gerbert J.; and Ron H. (2007). Similarity and Complementarity of Behavioral Profiles of Friendship Types and Types of Friends: Friendships and Psychosocial Adjustment. Journal of Research on Adolescence, 17 (2), 357-386.
- Boyd, S. & Barwick, H. (2011). Wellbeing at school: Building a safe and caring school climate that deters bullying. Retrieved March, 07, 2012, from www.nzcer.org.nz/system/files/wellbeing-at-school-booklet.pdf

- Canada Safety Council, (2004). Bullying in the workplace. Retrieved Nov. 10, 2004, from Canada Safety Council - Canada's Voice and Resource for Safety Web site: http://www.safety_council.org/info/OSH/bullies.html
- Chad, M. Bohn (2011). Predicting Bullying Among High School Students Using Individual and School Factors: Analysis of A National Survey. Unpublished Master dissertation, Utah State University.
- Derosier, M. E. (2004). Building relationships and combating bullying: Effectiveness of a school-based social skills group intervention. *Journal of Clinical Child & Adolescent Psychology*, 33, 196-201.
- Desouza, E. & Ribeiros, J. (2005). Bullying and sexual harassment among Brazilian high school students. *Journal of Interpersonal Violence*, 20, 1018-1038.
- Devoe, J. F.; Peter, K.; Kaufman, P.; Miller, A. K.; Noonan, M.; Snyder, T. D. and Baum, K. (2004). Indicators of School Crime and Safety: NCES 2005-002/NCJ 205290. U.S. Departments of Education and Justice. Washington, DC: 2004.
- Edwy, D. (2012). Middle School Bullying Prevention & Intervention: An Overview of Best Practices and Current Research. Unpublished doctoral dissertation, Alliant International University, San Francisco.
- Ericson, N. (2001). Addressing the Problem of Juvenile Bullying. OJJDP Fact Sheet #27. U.S. Department of Justice,

- Office of Justice Programs, Office of Juvenile Justice and Delinquency Prevention. Washington, DC: U.S. Government Printing Office.
- Gini, G. & Pozzoli, T. (2009). Association between bullying and psychosomatic problems: A meta-analysis. *Pediatrics*, 123(3), 1059-1065.
- Glendinning, P. (2001). *Workplace Bullying: Curing the cancer of the American workplace*. Public
- Hampel, P. & Petermann, F. (2005). Age and gender effects on coping in children and adolescents. *Journal of Youth and Adolescents*, 34(2), pp 73-83.
- Hendricks, L. (2008, December 22). Schools target bullies. *The Daily News* (Newburyport, MA). Retrieved from http://www.newburyportnews.com/punews/local_story_356234448.html
- Irina, S. Parkins. (2005). *Adolescent Perceptions of Victims of School Bullying*. Unpublished doctoral dissertation, University of Cincinnati.
- Janssen, I.; Craig, W.M.; Boyce, W. F. & Pickett, W. (2004). Associations between overweight and obesity with bullying behaviors in school-aged children. *Pediatrics*, 113(5), pp 1187-1194.
- Larkin, D. (2007). Vermont girls report facing bullying, harassment. Retrieved from <http://www.timesargus.com/apps/pbcs.dll/article?AID=/20070321/NEWS01/703210355/1002>
- Marie, H.; Margaret, H. V.; Lesley, W.; Debra, J. (2009). *The Worse*

- You Behave, The More You Seem, to be Rewarded: Bullying in Nursing as Organizational Corruption. *Journal of Employ Respons Rights*. (21), pp213-229.
- Mestel, R. & Groves, M. (2001, April 3). When push comes to shove. *Los Angeles Times*, pp.E1, E3.
- Michael, H.; Darren, T.; Joyce, T. H.; Allison, D. (2009). Bullying in the 21st Century Global Organization: An Ethical Perspective. *Journal of Business Ethics*. (85), pp27-40.
- Middleton, K. (2008). Bullying perceptions of third, fifth and seventh grade students in Oklahoma public schools, 2005. Oklahoma City: Oklahoma Department of Health.
- Moses, P. (2011). Teachers and Students Perceptions of the Psycho-Physiological Causes of Bullying among Public Secondary School Students in Western Province, Kenya. *International Journal of Current Research*. Vol. 33, Issue, 2, pp 115-123.
- Nansel, T.; Overpeck, M.; Pilla, R.; Ruan, J.; Simons-Morton, B. and Scheidt, P. (2001). Bullying Behaviors Among U.S. Youth: Prevalence and Association With Psychosocial Adjustment. *Journal of the American Medical Association*, 285: 2094-2100.
- Ngoc J. Ho. (2007). A Cross-sectional Analysis of Bullying and Stealing Behaviors in a Nation-wide Sample of Early Adolescents. A dissertation submitted in partial satisfaction of the requirements for the degree Doctor

of Philosophy. University of California, San Diego, San Diego State University.

- Olweus, D. & Limber, S. (1999). Bullying prevention program. In *Blue prints for violence prevention*, edited by Delbert S. Elliott. Institute of Behavioral science, regents of the University of Colorado, Venture Publishing Golden, Colorado and C & M. Press Denver, Colorado, PP. 7-16.
- Olweus, D. (1993). *Bullying at school: What we know and what we can do*. Cambridge, MA. Blackwell.
- Park, C. (2006). Exploring among religiousness meaning and adjustment to lifetime and current stressful encounters in later life. *Anxiety, Stress & Coping. An International Journal*, Vol.(19), No(10), pp 33-45.
- Pellegrini, A. D. (2002). Bullying, victimization, and sexual harassment during the transition to middle school. *Educational Psychologist*, 37(3), pp 151-163.
- Peyton, P. (2003). *Dignity at work*. New York: Brunner-Routledge.
- Prinstein, M. J. & La Greca, A. M. (2004). Childhood peer rejection and aggression as predictors of adolescent girls' externalizing and health risk behaviors: A 6-year longitudinal study. *Journal of Consulting and Clinical Psychology*, 72(1), pp 103- 112.
- Randall, P. (1997). *Adult bullying: perpetrators and victims*. London: Routledge.
- Rigby (2002). *New Perspectives on Bullying*. London: Jessica Kingsley.

- Rigby (2011). What can schools do about cases of bullying? *Pastoral Care in Education*, Vol. 29, No. 4, December 2011, pp 273-285.
- Rosario, M.; Salzinger, S.; Feldman, R. S.; & Ng Mak, D. S. (2003). Community violence exposure and delinquent behaviors among youth: The moderating role of coping. *Journal of Community Psychology*, 31(5), pp 489-512.
- Smokowski, P. R. & Holland Kopasz, K. (2005). Bullying in school: An overview of types, effects, family characteristics, and intervention strategies. *Children & Schools*, 27(2), 101-110.
- Ybarra, M.L. (2004). Linkages between depressive symptomatology and internet harassment among young regular internet users. *Cyber Psychology & Behavior*, 7 (2), 247-257.
- Zachary Carofolo (2012). Do Bullies and Victims Reside in the "Hear and Now"? A correlational Analysis of the Relationship Between Mindfulness and Bullying. Unpublished master dissertation, Faculty of D'Youville College.

المؤلف في سطور

- حاصل على درجة الدكتوراه في فلسفة التربية تخصص الصحة النفسية والإرشاد النفسي. كلية التربية جامعة عين شمس.
- حاصل على درجة الماجستير في فلسفة التربية تخصص الصحة النفسية والإرشاد النفسي. كلية التربية جامعة عين شمس.

الإسهامات العلمية

- قراءة نفسية في الأمثال الشعبية. القاهرة: دار الآفاق العربية (2016).
- فعالية تعديل السلوك في علاج سلوكيات البلطجة لدى عينة من المراهقين. مجلة الإرشاد النفسي، عدد40، ج2، ديسمبر 2014، مركز الإرشاد النفسي بجامعة عين شمس.
- إيمان القمار. القاهرة: دار الآفاق العربية (2014).
- تحقيق مخطوط الهبات لابن عطاء الله السكندري. القاهرة: دار الآفاق العربية (2014).
- قلق الموت في ظل الإرهاب الصهيوني: دراسة نفسية تاريخية. القاهرة: دار الآفاق العربية (2011).
- الفرق والمذاهب في الرسائل الثلاث: دراسة مقارنة. القاهرة: دار الآفاق العربية (2011).

- تحقيق مخطوط الكلمات المائة. القاهرة: دار الآفاق العربية (2009).
- تحقيق مخطوط ثمرات العلوم للتوحيدي. دمشق: دار نينوى للطباعة والنشر (2009)، ودار سحر للنشر والتوزيع بتونس.
- العلاج بالمعنى (في) نبيل حافظ: العلاج النفسي بين النظرية والتطبيق. كلية التربية، جامعة عين شمس (2007).

تحت الطبع

- الوقاية من البلطجة في المدارس (ترجمة).
- وجوه عديدة من اضطرابات ضغوط ما بعد الصدمة (ترجمة).